مدينة لوشة Loja الأندلسية ٩٢ – ٨٩١ هـ/ ٧١٠-١٤٨٦م

The Andalusian city of Loja 92-891 A.H. / 710-1486 A.D.

د. جاسم ياسين الدرويش
أستاذ
د. حسين جبار العلياوي
أستاذ
جامعة البصرة– كلية التربية للعلوم الإنسانية

Dr. Jasim Yaseen Al-Derweesh
professor
Dr. Hussein Jabbar Al-Eliawi
professor
University of Basrah- College of Education for Human Sciences-

phassim2@yahoo.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢١/١٢/٢٢ تاريخ القبول ٢٠٢٢/١/٢٣

الكلمات المفتاحية: لوشة – نهر شنيل – بنو مناد – أبو علي العطار

Keywords: Loja - Shanil River – Banu Manad - Abu Ali al-Attar

الملخص

تقع مدينة لوشة إلى الجنوب من قرطبة والى الشمال الغربي من غرناطة، يشقها نهر شنيل من الجنوب إلى الشمال، ويمتد بسيطها على طول سفح جيل شلير أو جبل الثلج، وُصفت المدينة بحسن طبيعتها ووفرة المياه بها ووفرة إنتاجها من الزيتون والكروم والزروع، فتحها المسلمون سنة ٩٢ هـ/ ٧١٠ م واستوطنتها العديد من القبائل العربية .

أولتها حكومة قرطبة اهتماماً خاصاً لاسيما بعد أن استولى عليها ابن حفصون وعلى عدد من مناطقها، فأعادت بناءها وتحصينها، وقد وقف الأهالي إلى جانب حكومة قرطبة ضده حتى تمكنوا من التخلص من نفوذه، وخلال عصر الطوائف كانت لوشة ضمن أملاك بني مناد الصنهاجيين، وخلال العصرين المرابطي والموحدي قلت أهميتها بسبب تحول الاهتمام إلى إشبيلية ثم تراجع دور قرطبة، وخلال عصر بني الأحمر تحولت المدينة إلى ثغر، وساهم أهلها في الدفاع عنها ضد هجمات مملكة قشتالة حتى سقوطها سنة ٨٩١ هـ/ ١٤٨٦م.

Abstract

The city of Lousha is located to the south of Cordoba and to the northwest of Granada, Chenil River passes through the city from south to north, and its simplicity extends along the foot of Gil Schlier or the Snow Mountain. Muslims conquered it in year 92 A.H. / 710 A.D., and it was settled by many Arab tribes.

The Cordoba government gave it special treatment , especially after Ibn Hafsun seized it and a number of its areas, so it rebuilt and fortified it. The people stood by the Cordoba government against him until they were able to get rid of his control.

During the era of Altawaef, Lusha was owned by BanuMunadSanhajis, during the Almoravid and Almohad eras, its importance decreased due to the shift of interest to Seville and then the decline of the role of Cordoba, and during the era of Bani al-Ahmar, the city turned into gap city, Its people participated in defending it against the attacks of the Kingdom of Castile until its fall in the year 891 A.H. / 1486 A.D.

المقدمة

عندما دخل المسلمون إلى الأندلس أقاموا حضارة واسعة عريضة شملت معظم ربوعها، ومنذ أيام الفتح وحيث ما حلوا كانوا يقيمون تجمعات تمدنية ويبنون المدن والحصون ويعيدون الحياة إلى الغابر منها، ومن هنا تأتي أهمية دراسة المدن الأندلسية، إذ أنها لم تكن وليدة الفتح بل ساهمت ظروف عدة في إحيائها وتشييدها وتوسيعها، وهذا الأمر ينطبق على مدينة لوشة، فعلى الرغم من أن المسلمين نزلوها منذ أيام الفتح الأولى إلا أن دورها كمركز إداري لم يظهر إلا بعد بنائها سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م، واستمرت المدينة تسهم مع من جاورها من المدن في رسم أحداث البلاد حتى سقوطها بيد النصارى سنة ٨٩١ هـ/١٤٨٦ م .

وقد تطلبت مادة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث فسلطنا الضوء في الأول على الجغرافية التاريخية لما لموقعها وطبيعتها الجغرافية من أثر على الأحداث التاريخية التي مرت بها، ثم تناولنا في المبحث الثاني تاريخها السياسي والإداري بدءاً من الفتح حتى السقوط، وختمنا البحث بإسهامات أهلها في مجالات العلوم المختلفة في المبحث الثالث .

أولاً : الجغرافية التاريخية لمدينة لوشة Loja

لوشة مدينة بالأندلس تلفظ ((بالفتح ثم السكون، وشين معجمة)) [١]، وتقع إلى الجنوب من قرطبة Corodoba والى الشمال الغربي من غرناطة Granada ، قال ياقوت : ((مدينة بالأندلس غربي البيرة قبل قرطبة منحرفة يسيراً)) [٢]، وهي اليوم على الطريق الممتد بين إشبيلية Sevilla وغرناطة [٣] .

ذهبت بعض المصادر إلى أنها من أعمال كورة البيرة Elvira [٤]، فيما ذهب آخرون أنها من أعمال غرناطة [٥]، وكلا القولين صحيح إذ أن الخلاف حول أن لوشة ضمن البيرة أم غرناطة هو خلاف ترتيب زمني لا خلاف مكاني، إذ كانت غرناطة مدينة صغيرة تابعة إلى كورة البيرة فلما خُربت البيرة في أحداث الفتنة التي أعقبت سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عُمرت غرناطة وضمت جميع مناطق البيرة وغلب اسمها عليها، فذكر الإدريسي ((ومدينة اغرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة فخلت وانتقل أهلها منها إلى اغرناطة)) [٦]، وإلى ذلك أيضاً أشار الحميري بقوله : (وكانت حاضرة إلبيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة فخُربت في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة فهي اليوم قاعدة كورها) [٧]، فيما أشار ابن الخطيب إلى أن الانتقال من البيرة إلى غرناطة كان بعد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م بقوله : ((ولم تزل الأيام تخيف ساكنها، والعفاء يتبوّأ مساكنها، والفتن الإسلامية تجوس أماكنها، حتى شملها الخراب، وتقسّم قاطنها الاغتراب، وكلّ الذي فوق التّراب تراب، وانتقل أهلها مدة أيام الفتنة البربريّة سنة أربعمائة من الهجرة، فما

(١) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٢ .

(٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٢ .

(٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٥ .

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٩ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٣ ؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ١٨ ؛

(٥) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٦٨ ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٢٠ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢١٤/٥ ؛ المقري، نفح الطيب، ١٤٨/١ .

(٦) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢ .

(٧) الروض المعطار، ص ٢٨ .

بعدها، ولجأوا إلى مدينة غرناطة، فصارت حاضرة الصّقع، وأمّ المصر، ...)) [١]، ويُرجح أن تكون البيرة هي المكان نفسه الذي تقوم عليه غرناطة الحديثة [٢] .

أما المسافات فإن بينها وبين البيرة ثلاثين ميلاً [٣]، وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً [٤] وبينها وبين غرناطة عشرة فراسخ [٥]، فيما أشار الإدريسي إلى أن بينها وبين غرناطة على النهر خمسة وعشرين ميلاً [٦]، وقيل إنها على مرحلة [٧] من غرناطة [٨] .

أما تسميتها فإن لفظة لوشة أسبانية تعني بلاط مربعة، وتعني أيضاً فخ لصيد العصافير[٩]، ولعل المعنى الثاني الأقرب إليها نظراً لطبيعتها – كما سنرى – المكتظة بالجبال والأنهار والأشجار، وحكى مؤلف مجهول في هذا المعنى رواية أقرب إلى الأسطورة قال : إن في قرية بالقرب من لوشة ((أقسام عالية عليها عقبان تعشعش ولا يعلم قدمها هناك، وهي لا تترك في سائر القرى دجاجة ولا براكا، ولا تضر أهل تلك القرية التي هي بها ساكنة، فإذا حصرها الثّلج، منعها من السرح في طلب قوتها صاحت من ألم الجوع صياحاً عظيماً ولا تقدم على إيذاء جيرانها في طيورهم وهي تسرح أمامها حتى يطرح لها أهل القرية ما تأكله بأيديهم))[١٠]، وبسبب جمال لوشة وتميزها فقد اسماها ابن الخطيب ببنت غرناطة وفتية غرناطة اعتزازاً بها إذ هي مسقط رأسه [١١]، كما أطلقت عليها الملكة إيزابيلا [١٢] اسم الزهرة بين الأشواك [١] .

---

(١) الإحاطة، ١٤/١ .

(٢) الطويل، مملكة غرناطة، ص ٥٥ .

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٣ ؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر : هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥ .

(٤) الفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر : هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤ .

(٥) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٣٥٢ .

(٦) نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢ .

(٧) المرحلة تساوي أربعة وعشرون ميلاً أو ثمانية فراسخ، ينظر : الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ٥٢١/١ .

(٨) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٦٨ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢١٤/٥ .

(٩) دوزي، تكملة المعجم العربية، ٢٨٧/٩ .

(١٠) تاريخ الأندلس، ص ٦٧ .

(١١) الإحاطة، ٢١٩/١ .

(١٢) إيزابيلا بنت الملك خوان الثاني ملك قشتالة تزوجت من ابن عمها فرناندو الارجوني وعلى اثر ذلك اتحدت قشتالة وأراغون واعتلت مع زوجها العرش الاسباني وعلى يدهما كانت

وتضم مدينة لوشة المدينة القديمة بمبانيها وأزقتها ثم البسيط المحيط بها، والمدينة القديمة لا تختلف عن مثيلاتها الإسلامية من مدن العصور الوسطى حيث المسالك الضيقة والملتوية وبعضها مغلقة في آخرها وقد صممت لأغراض دفاعية يساعدها على صد غارات الأعداء وصعوبة اقتحامها فضلاً عن أنها تحمي السكان من حرارة الصيف وشدة الرياح [٢]، وقد وصف ابن الخطيب لوشة وأزقتها بقوله : ((إلا أن داخلها حرج الأزقة، وأحوال أهلها مائلة إلى الرقة، وأزقتها قذرة، وأسباب التطوّف بها متعذرة، ...)) [٣]، وبنيت بعض مبانيها على السفح فوق ربوة صخرية عالية فيما بُني البعض الآخر في منخفض الوادي، وأطلال هذه المدينة القديمة ماثلة إلى اليوم حيث قلعة المدينة وبقايا بناء يُظن أنه بقايا المسجد وفيه ثلاثة عقود على صفين ولا يحتوي على نقوش أو كتابات وقد عفى عليها الخراب، كما يقوم فيها بناء خرب كبير ذو فناء أندلسي قديم وهو على طابقين في كل منهما عدة غرف يُظن أنها من مرافق القصبة الأندلسية القديمة، وفي وسط المدينة تقوم الكنيسة التي بُنيت فوق موضع المسجد القديم، وتضم القصبة القلعة والقصر والمسجد الجامع [٤] .

أما بسيطها المحيط بها فهو يمتد على سفوح الجبال القريبة منها وأشهرها جبل شلير [٥] وفيه كثير من الحصون والقرى، وقد أثنى ابن سعيد في وصفه لبسيطها بقوله : ((بَينهَا وَبَين غرناطة مرحلة من أحسن المراحل بَين أنهارٍ وظلال أَشجَار فِي بِسَاط ممتد تبَارك الله الَّذِي أبداه بديعاً فِي حسنه ... فَلَو كَانَ للدنيا عروس من أَرْضهَا لَكَانَ ذَلِك الْموضع)) [٦]، كما قال المقري عن لوشة وبسيطها : ((وهذا القطر ضخم ينضاف إليه من الحصون والقرى كثير،

نهاية الوجود الإسلامي في الأندلس وكانت وفاتها سنة ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤ م، ينظر : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٨٠/٥ وما بعدها .

(١) . Wikipedia,org، مقالة عن لوشة الأندلسية .

(٢) الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدينة العربية الإسلامية، ص ٢٢٨ .

(٣) معيار الاختيار، ص ١٢٦ .

(٤) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٥-٢٣٧ .

(٥) جيل شلير ويسمى جبل الثلج ويدعى الآن سيرانيفادا، وهو يتصل بجبال رية ويلتصق بالجزيرة الخضراء، طوله يومان ولارتفاعه فإن الثلج لا ينفك عنه صيفاً ولا شتاءً، ينظر : الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٣ ؛ حتاملة، أيبيريا، ص ٥٠ .

(٦) المغرب في حلى المغرب، ١٥٧/٢ .

وقاعدته لوشة)) [١]، وهذا البسيط يشقه نهر شنيل من الجنوب إلى الشمال وهو غربي غرناطة وعلى ضفتيه مسافة أربعين ميلاً ((بين بساتين وقرى وضيّع كثيرة البيوت والعلالي وأبراج الحمام وغير ذلك من المباني، وينتهي فحصها إلى لوشة)) [٢]، وأشار أبو الفدا إلى أن المسافة بين غرناطة ولوشة مرحلة بين البساتين والرياض [٣]، كما وصف ابن الخطيب بسيط لوشة بقوله : ((مرأى بهيج، ومنظر يروق ويهيج، ونهر سيال، وغصن مياد، وجنات وعيون، ولذات لا تمطل بها ديون، وجداول تنضح بها الجوانح، ومحاسن يشغل بها عن وكره السائح، ونِعَم يذكر بها المانع المانح، ما شئت من رحا يدور، ونطف تشفى بها الصدور، وصيد ووقود، وأعناب كما زانت اللبات عقود، وأرانب تحسبهم أيقاظا وهم رقود، إلى معدن الملح، ومعصر الزيت، والخضر المتكفلة بخصب البيت، والمرافق التي لا تحصر إلا بعد الكيت، والخارج الذي عضد مسحة الملاحة، بجدوى الفلاحة)) [٤] .

ونص ابن الخطيب أعلاه فائق الأهمية في وصف الحياة الاقتصادية لمدينة لوشة، فهو يشير إلى وفرة مياهها المتدفقة من العيون التي مصدرها الجبل المجاور والتي تشتغل من قبل السكان في تدوير الارحاء التي تستخدم في طحن الحبوب وبعضها للسقي ورفع المياه إلى البساتين التي اكتظت بأشجار الزيتون إلى جنبها معاصر الزيت، فضلاً عن وفرة الثروة الحيوانية لاسيما الطيور التي جذبت السياح وأهل البلد للنزهة والصيد، كما أشار إلى معدن الملح الذي يعد ثروة معدنية استغله أهالي لوشة لمنافعهم .

كما ينبت على سفح جبل شلير الأعشاب التي تستخدم في صناعة العقاقير الطبية وشكل أحد موارد المنطقة الاقتصادية، وقد أشار القلقشندي إلى ذلك بقوله : وبجبل شلير ((عقاقير الهند وعشب يستعمل في الأدوية، يعرفها الشجّارون لا توجد في الهند ولا في غيره)) [٥] ، كما ذكر الزهري أن في بعض أعمالها ينتج الحرير بقوله : ((ويجلب الحرير من بعض أعمالها))[٦] أي أنه يدخل في تجارة المنطقة

ومن معالمها غار في جبل عند لوشة فيه رجال أموات أشاع الناس هناك أنهم أصحاب الكهف الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وربما أشاعوا ذلك لجذب السياح إليهم والانتفاع منهم، وقد زار هذا الكهف الرحالة الإدريسي وسجل ملاحظته عنه نافياً أن يكونوا هم أصحاب

---

(١) نفح الطيب، ١٤٨/١ ؛ ينظر أيضا : ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٤/١ .
(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٢٨/٤ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٠٨/٥.
(٣) تقويم البلدان، ص ١٦٨ ؛ ينظر أيضاً : المقري، نفح الطيب، ١٤٨/١ .
(٤) معيار الاختيار، ١٢٥-١٢٦ .
(٥) صبح الأعشى، ٢٠٩/٥ .
(٦) الجغرافية، ص ٩٦ .

الكهف بقوله : ((ووهم أهل الأندلس في أصحاب الرقيم حين زعموا أن أصحاب الكهف هم الشهداء الذين هم في مدينة لوشة، قال المؤلف : رأيت القوم في هذا الكهف عام عشرة وخمس مائة فنزلنا إليهم على فم بئر عميقة نحواً من قامة وزائد ثم مشينا فيه في سرب فيه ظلمة خطوات قلائل ثم اتسع الغار فألفينا هناك الموتى وهم رقود على جنوبهم وعددهم سبعة وعند أرجلهم كلب ملتو وقد ذهب لحمه وجلده وبقيت عظامه في فقاراته كما هي في الحياة ولا يعلم أحد في أي زمن دخلوا هذا الكهف أو أُدخلوا إليه، وأول رجل يلفى منهم له خلق عظيم وله رأس كبير وأهل الأندلس يقولون إن هؤلاء القوم الذين في هذا الكهف موتى هم أصحاب الكهف)) [١] .

ثانياً : التاريخ السياسي لمدينة لوشة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة عن كيفية فتح المسلمين مدينة لوشة أو تاريخ ذلك، إلا أنه على ما يبدو أنها فتحت أثناء فتح المسلمين لكورة البيرة وقرطبة وذلك لأنها تقع إلى الجنوب من قرطبة وغرب البيرة فمن غير المعقول أن تسير الجيوش إلى قرطبة أو البيرة دون أن تمر في لوشة أو بعض منها، فعندما تمكن طارق بن زياد من هزيمة ملك القوط الغربيين Viaigoths لوذريق في معركة وادي لكة [٢] Rio Cuadalete في شوال من سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م اتجه إلى إشبيلية Sevilla فتمكن من فتحها ثم اتجه إلى مدينة إستجة Ecija [٣] التي تجمع فيها قسم من الجيش القوطي، وبعد هزيمتهم قرر التقدم والزحف مباشرة إلى طليطلة Tolodoعاصمة القوط الغربيين، وقبل أن يشرع أرسل فرقاً من جيشه لفتح بعض

(١) نزهة المشتاق، ٨٠٣/٢ ؛ ينظر أيضاً : العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٢-٩٣ ؛ الزهري، الجغرافية، ص ٩٥ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٦٨ .

(٢) مدينة أندلسية من كورة شذونة، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١ .

(٣) مدينة أندلسية قديمة تقع بين القبلة والغرب من قرطبة، ينظر : ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣ .

المناطق التي تجمع فيها القوط وهي: قرطبة [١] والبيرة ومالقة Malaga [٢] وتدمير Tudmir[٣] .

أما بالنسبة للجيش المتجه نحو البيرة فتمكنوا من فتح مدينتها ثم فتحوا غرناطة Granada ثم مضوا إلى تدمير [٤]، ويمكن القول إن ذلك كان في أواخر سنة ٩٢ هـ/ ٧١٠ م، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط كما قال المقري : ((كانت الملاقاة يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوّال بعد تتمة ثمانية أيام، ...)) [٥]، وكان فتح قرطبة في شوال من السنة نفسها [٦]، ولما كان طارق في طليطلة أوائل سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م [٧]، فهذا يعني أن دخول لوشة في حكم المسلمين كان في المدة بين شوال وذي الحجة من سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، وذلك بحكم قربها من إستجة التي انطلقت منها جيوش المسلمين لفتح كورة البيرة .

تعد خصوبة أرض لوشة ووفرة المياه فيها وصلاحيتها للزراعة فضلاً عن أشجار الزيتون والمراعي عامل جذب للسكنى فيها، وليس لدينا تفاصيل كثيرة عن القبائل العربية التي استوطنت في لوشة وبسيطها وتاريخ ذلك ولكن هناك بعض الإشارات من خلال تراجم الشخصيات البارزة في لوشة التي ذكرت أن أوليتهم من لوشة وهي إشارة يفهم منها أنهم استوطنوها في وقت مبكر نذكر منهم :

---

(١) وهي قاعدة وعاصمة الأندلس لحقبة طويلة تقع على نهر الوادي الكبير، ينظر : ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦-٢٧ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦-٤٥٧ .

(٢) وهي كورة كبيرة في الأندلس تقع بين القبلة والشرق من قرطبة، ينظر : ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٤٠ .

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر : مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٨/١-١٩ .

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٢-٢٣ ؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ١٦.

(٥) نفح الطيب، ٢٥٩/١ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢ .

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢-١٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ١٢/٣ .

(٧) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٤ .

قبيلة يحصب اليمنية [١] التي نزل لوشة جماعة كان لهم حضور فيها [٢]، والراجح أن ذلك كان في عصر الفتح لأن أعداداً كبيرة من يحصب صاحبوا عملية الفتح [٣]، كما سكنها جماعة من قبيلة الصدف [٤] الحضرمية اليمنية [٥]، وكان دخول هذه القبيلة إلى الأندلس على دفعتين الأولى مع القائد موسى بن نصير والأخرى مع بلج بن بشر القشيري [٦]، فالراجح أن نزولهم لوشة كان في وقت مبكر ، وهناك إشارة إلى أن عدداً من أفراد مذحج [٧] نزلوها أيضاً[٨]، كما نزلها في وقت مبكر عدد من أبناء قبيلة المعافر [٩] اليمنية، وأول من نزلها هم ولد عقبة بن نعيم المعافري الداخل إلى الأندلس حيث نزلوا في قرية شنكب من عمل لوشة[١٠]، كما نزلها أعداد من موالي بني أمية وأغلب هؤلاء الذين دخلوا الأندلس مع بلج القشيري[١١]، ومن أشهرهم بني خالد وهم موالي الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) ولهم جبل

(١) وهم نسبة إلى يحصب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد الحميري، ينظر : ابن حزم، جهرة أنساب العرب، ص ٤٣٥ .

(٢) ابن الابار، التكملة، ٢٦/٢ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٧٤/٢، ٢٩٣/٣ .

(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠٦ .

(٤) هو الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن حضرموت، ينظر : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦١ .

(٥) ابن الابار، التكملة، ١١٠/٣، ١٤٣، ٥٥/٤ .

(٦) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠١ ؛ وبلج بن بشر القشيري هو الذي عبر إلى الأندلس بجند الشام بعد هزيمتهم إمام البربر وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على السلطة فيها، وكانت ولايته فيها احد عشر شهرا وتوفي سنة ١٢٤ هـ/٧٤١ م، ينظر : ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٦٥، ٦٨، ٧٠ .

(٧) مذحج هو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ينظر : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٧ .

(٨) ابن الابار، التكملة، ٣٦٢/١ .

(٩) المعافر نسبة إلى يعفر بن الحارث بن مالك بن مرة بن أدد بن زيد ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ينظر : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤١٨ .

(١٠) ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٠٠/٣ .

(١١) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٢٢ .

يعرف بجبل أبي خالد مطل على لوشة، قال ابن الخطيب : ((كان لهم ظهور هنالك، وفيهم أعلام وفضلاء)) [١] .

ويبدو أن مدينة لوشة Loja عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث التي الكبيرة حتى منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ولعل ذلك راجع إلى قربها من قرطبة وقوة الدولة وحكامها آنذاك فضلاً عن أن الأضواء كانت تسلط على الحواضر الكبرى، فكانت البيرة هي قصبة الكورة وإليها يقصد العمال والولاة [٢] .

إلا أن عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٧٥-٣٠٠ هـ/٨٨٨-٩١٢ م) شهد العديد من التمردات والفتن الداخلية، وقد وصف ابن الأثير عهده بقوله : ((وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن، وصار في كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته)) [٣] .

ويبدو أن الحركات قد استفحلت في معظم مناطق الأندلس ولم تبق قاصرة على المناطق الجبلية، بل تجاوزها إلى القواعد والمدن الكبيرة مثل إشبيلية [٤] وبطليوس Badajoz [٥] وجيان Jaen والبيرة وقبرة Cabra ولورقة Lorca ومرسية Murcia وغيرها، ومن أشهر حركات التمرد التي شهدتها المنطقة هي حركة عمر بن حفصون [٦] وكانت بدايتها من حصن ببشتر Bobastro في إقليم ريّة Rejio والتف حوله جماعة من المولدين مستغلاً حالة الانفلات الأمني الذي ساد في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠ هـ/٨٨٨-٩١٢ م) فاستولى على مناطق واسعة من كورة البيرة وشذونة Sidonia وجيان، وأشار ابن الخطيب إلى أن ابن حفصون ((اتسع نظره حتى تملّك كورة ريّه، والخضراء، والبيرة، إلى بسطة، وأبّدة،

---

(١) الإحاطة، ٢٢٩/١ .

(٢) ينظر مثلاً : ابن الابار، الحلة السيراء، ١/ ١٥٦، ١٦١، ٢٤١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٥/٢، ١٠٩، ١٦٣، ١٨٢ .

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٩ .

(٤) مدينة أندلسية قديمة تبعد عن قرطبة ثمانين ميلاً، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨ ؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٤-١٧٥ .

(٥) مدينة تقع غرب الأندلس تبعد عن ماردة أربعين ميلاً، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣

(٦) عمر بن حفصون كان من المولدين ثار بالأندلس بإقليم رية سنة ٢٦٧ هـ/٨٨٠ م واستمرت ثورته حتى عهد الناصر إذ تمكن من القضاء عليه، وكانت وفاته سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م، ينظر : ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠ هـ/ ٨٨٨-٩١٢ م) ص ٧٢-٧٧ ؛ ابن عذارى، البيان المُغرب، ١٠٤/٢ وما بعدها ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢-٣٥.

وبيّاسة، وقبرة، إلى حصن بلي المطل على قرطبة، وأشرق الخلافة بريقها، ...)) [١]، وهذا يعني أن نفوذه امتد إلى مدينة لوشة .

وفي سنة ٢٧٦ هـ/٨٨٩ م تمكن الأمير عبد الله من هزيمة ابن حفصون مما أجبره على الاعتراف بذنبه وعقد الصلح مع الأمير، إلا أن ابن حفصون لم يلتزم بذلك فقد نقض الصلح سنة ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م وأخذ يوسع نفوذه جنوباً، وهو ما دفع الأمير عبد الله إلى إرسال ولده الأمير مطرف على رأس جيش تمكن خلاله من هزيمة ابن حفصون في معقله بقلعة ببشتر إلا أنه لم يتمكن من تعقبه، عندها حاول الأمير المطرف فرض حصار عليه لمنعه من التمدد جنوباً بإتجاه غرناطة، فعمل على مهاجمة مدينة لوشة وتحصينها وشحنها بالجيش وترك عليها أحد قواده وهو إدريس بن عبد الله عاملاً عليها الذي وطد الطاعة فيها [٢]، وبذلك أصبحت مدينة لوشة مركزاً تنطلق منه جيوش الإمارة الأموية لمهاجمة ابن حفصون .

ففي سنة ٢٩١ هـ/٩٠٣ م خرج جيش الإمارة بقيادة الأمير أبان بن الأمير عبد الله نحو مناطق ابن حفصون من الشمال فيما أوعز إلى قائده أحمد بن محمد بن أبي عبدة ليهاجم ابن حفصون من لوشة جنوباً، وقد تمكن جيش الإمارة من هزيمة ابن حفصون وأسر أعداداً كبيرة من قواته وقتل أعداداً أخرى وقد أرسل الأسرى ورؤوس القتلى إلى مدينة لوشة [٣]، ويتضح من الأحداث أعلاه أن أهل لوشة كان لهم دور كبير في مقارعة ابن حفصون بنصرتهم جيش حكومة قرطبة، وبعد ذلك لم تشهد مدينة لوشة أحداثاً كبيرة طيلة عهد عبد الرحمن الثالث الناصر ما يعني استقامة الأمور بها .

كما يبدو أن قبضة حكومة قرطبة استمرت بعد ذلك لعدم ذكر المصادر أحداثاً مهمة وقعت فيها واستمر ولاء الناس وطاعتهم، ففي سنة ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م استقبل الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦ هـ/٩٦١-٩٧٦ م) وفود أهل الأندلس الذين قدموا عليه لمشاهدة

---

(١) الإحاطة، ٢٦/٤ .

(٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠ هـ/ ٨٨٨-٩١٢ م)، ص ١٣٠ - ١٣١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٤/٢ .

(٣) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠ هـ/ ٨٨٨-٩١٢ م)، ص ١٦٢ - ١٦٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٠/٢-١٤١ .

وفد المغرب من زناتة [١] في بلاط الخليفة وكان في مقدمتهم وفد أهل لوشة [٢] .

وبعد سقوط الدولة العامرية وظهور في الأندلس ما يسمى بالفتنة [٣] في بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وما تلاها من سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠ م بدأ عصر جديد في الأندلس أطلق عليه المؤرخون عصر دويلات الطوائف Taifas, Los (٤٢٢-٤٨٤ هـ/١٠٣٠-١٠٩١ م) وأحسن وصف لهذا جاء على لسان ابن الخطيب إذ قال : ((نقول وبالله الاستعانة ومنه الحول والقوة ذهب أهل الأندلس من الانشقاق، والانشعاب، والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعبّاد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتبت عنهم الكتاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين، وشهدت بوجوب حقهم الشهود، ووقفت بأبوابهم العلماء، وتوسلت إليهم الفضلاء، وهم ما بين مجبوب، وبربري مجلوب، ومجند غير محبوب، وغفل ليس في السراة بمحسوب، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائراً، ولا لحرب الحق مغايراً، وقصارى أحدهم يقول : أقيم على ما بيدي، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه، ولو جاءه عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه، ولا لقي خيراً لديه، ولكنهم استوفوا في ذلك آجالا وأعماراً، وخلفوا آثاراً، وإن كانوا لم يبالوا اغترارا، من معتمد، ومعتضد، ومرتضى، وموفق، ومستكفي، ومستظهر، ومستعين، ومنصور، وناصر، ومتوكل)) [٤] .

---

(١) ينظر التفاصيل عن استقبال وفد زناتة ومعهم جعفر بن علي بن حمدون في الأندلس : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤ هـ / ٩٧٠-٩٧٤ م) ص ٥٦-٥٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٤٢/٢ -٢٤٣ .

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤ هـ / ٩٧٠-٩٧٤ م) ص ٥٧ .

(٣) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ/١٠٠٨ م حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ /١٠٣٠ م، ينظر : العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٦ ؛ المراكشي، المعجب، ص ٧١ ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٥٥/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٣/٢ .

(٤) أعمال الأعلام، ١٣٩/٢-١٤٠ .

وهكذا انقسمت الأندلس إلى دويلات فكانت مدينة لوشة من نصيب بني مناد الصنهاجيين [١] الذين حكموا المنطقة للمدة من ٤٠٣ -٤٨٣ هـ/ ١٠١٢-١٠٩٠ م [٢]، وقد امتدت حدود دولتهم إلى جيان وبسطة Baza وإستجة وما تحت أقسام قرطبة [٣] وبذلك فقد أصبحت لوشة ومنطقتها ضمن دولتهم .

وفي أواخر عهد أميرها حبوس بن باديس (٤٢٩-٤٦٧ هـ/١٠٣٧-١٠٧٤ م) رابع حكام بني زيري في غرناطة أخذ عمال المناطق التابعة له يتدخلون في شؤون الدولة وذلك بسبب إطلاق يد وزرائه في الحكم، ففي وزارة الناية [٤] الذي وصفه ابن بلقين (بأنه الحاكم دون السلطان) [٥] تآمر صاحب باغة Priego وصاحب قبرة وصاحب وادي آش Guadix على الإيقاع بالناية، فعلاً تمكنوا من قتله [٦]، وذلك يدل على تنامي نفوذ أولئك الولاة في مناطقهم، وامتدت حالة التمرد إلى مدينة لوشة في عهد عبد الله بن بلقين (٤٦٧ -٤٨٣ هـ/ ١٠٧٤-١٠٩٠ م) إذ ضعفت دولة بني مناد الصنهاجيين في غرناطة وتكالب عليها بقية دويلات الطوائف [٧]، فضلاً عن عمال المدن والحصون التابعة لها .

فقد ثار مؤمل [٨] أحد عبيد باديس على الأمير عبد الله بن بلقين في لوشة، وهناك روايتان عن هذه الثورة، ذكر الأولى الأمير عبد الله في مذكراته، إذ أشار إلى أنه عندما رأى

---

(١) ينظر عن نسب بني مناد في غرناطة : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢٣٨/٦ ؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣١٧.

(٢) ينظر التفاصيل عن دولة بني مناد : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٠/٢-١٤٦ .

(٣) ابن بلقين، التبيان، ص ٣٤، ١٣٧ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣٨/١ ؛ أعمال الأعلام، ٢١١/٢ ؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٤٦ .

(٤) كان الناية عبدً للمعتضد بن عباد واتهم بالتآمر عليه ففر إلى حبوس بن باديس الذي قربه وحظي عنده حتى استوزره بعد مقتل وزيره اليهودي يوسف بن نغرالة، ينظر : ابن بلقين، التبيان، ص ٣٥-٣٦ .

(٥) التبيان، ص ٤٤ .

(٦) ابن بلقين، التبيان، ص ٤٦-٤٧ .

(٧) ينظر المزيد عن حالة دولة بني مناد أيام عبد الله بن بلقين : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢١٢/٢-٢١٤ ؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٧١-١٧٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٤٢/٢-١٤٦ .

(٨) مؤمل أحد عبيد باديس بن حبوس كان ذو دهاء وفطنة فقربه الأمير عبد الله بن بلقين، ولما دخل يوسف بن تاشفين الأندلس نصح مؤمل الأمير عبد الله بخلع نفسه فرفض الأمير

كثرة الثورات عليه في أطراف دولته وعجز قواده عن القيام بمهامهم عمل على اعتقال عدد منهم مما أثار حفيظتهم ومن بينهم صاحب المدينة لبيب الخصي، وكان مؤمل خارج غرناطة فلما علم بما جرى خاف على نفسه فقصد لوشة واتفق مع عاملها واجتمع بجند لوشة وأوهمهم بأنه لجأ إليهم للتخلص من براثن النصارى الذين استحوذوا على غرناطة ومقدراتها، كما خاطب أمراء الطوائف في الأندلس للوقوف إلى جانبه ضد الأمير عبد الله بن بلقين، إلا أنه لم يجبه أحد، ولما يئس من نصرتهم أرسل إلى يوسف بن تاشفين [١] أمير المرابطين Almoravides, Los للقيام بدعوته، كما أرسل إلى عمال المدن والحصون الآخرين التابعين لغرناطة بالخروج معه، إلا أنهم شكوا بنيته فأرسلوا إلى غرناطة للاطلاع على حقيقة الوضع فأخبرهم الأمير عبد الله فعلموا أنه مخالف وطلبوا من الأمير عبد الله بن بلقين العون لمنازلته، فأرسل إليه الأمير يدعوه إلى الطاعة ويحذره سوء العاقبة، فلما يئس منه أرسل إليه جيشاً تمكن من دخول لوشة والقبض على مؤمل ومن معه، ثم استشار الفقهاء فأفتى فريق منهم بقتلهم وأفتى آخرون بغير ذلك فآثر الأمير البقاء عليهم مع سجنهم [٢] .

أما الرواية الثانية فذكرها ابن الخطيب قال : إن مؤملاً أشار على الأمير عبد الله بالخروج إلى يوسف بن تاشفين متى قرب من غرناطة، فغضب عليه الأمير عبد الله ففر إلى لوشة فملكها ودعا ليوسف بن تاشفين فيها، فكان ذلك من أدعى الأسباب للأخير بمهاجمة غرناطة، عندها بادر الأمير عبد الله بإرسال جيشه إلى لوشة وتغلب على مؤمل وساقه إلى غرناطة وسجنه، ولما علم ابن تاشفين بذلك أرسل إلى الأمير عبد الله بإطلاق سراحه فأطلقه إذ لم يسعه مخالفته [٣] .

عبد الله وغضب عليه مما اضطره إلى الفرار إلى لوشة وهناك دعا للمرابطين إلا أن الأمير عبد الله أرسل إليه من قبض عليه وسجنه ثم عفا عنه، وكانت وفته سنة ٤٩٢ هـ/١٠٩٨ م، ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٢٥١-٢٥٣ .

(١) يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ومؤسس دولتهم التي وطد أركانها، وكان له دور كبير في فتح بعض مناطق المغرب ومن ثم الأندلس إذ عبر إليها بجيش كبير بعد استنجاد الأندلسيين به، وتمكن من إلحاق هزيمة كبيرة بقوات مملكة قشتالة بقيادة الفونسو السادس في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م، بعدها قام بتوحيد الأندلس تحت حكمه، وتوفي سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م، ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٤٦٨-٤٧٦ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٣٦-١٥٦ .

(٢) التبيان، ص ١٣٦ – ١٣٨ ؛ ينظر أيضاً : الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٧٦ .

(٣) الإحاطة، ٣/٢٥٢-٢٥٣ .

ومن كلا الروايتين يتبين أن معارضة قامت في غرناطة ضد الأمير عبد الله بن بلقين أخذت تنادي بخلعة وطاعة المرابطين لما رأوا أن الرياح تجري لصالحهم في الأندلس عسى أن ينالوا لديهم حظوة، وفعلا حدث ذلك، إذ أشار ابن الخطيب إلى أن يوسف بن تاشفين عندما دخل غرناطة ((قدّم مؤمّلا على مستخلصه وجعل بيده مفاتيح قصره، فنال ما شاء من مال وحظوة، واقتنى ما أراد من صامت وذخيرة ... رزقه الله عند أمير المسلمين، أيام حياته، منزلة لطيفة ودرجة رفيعة)) (١) .

وكان دخول يوسف بن تاشفين إلى غرناطة في رجب من سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩١ م (٢)، والراجح أن مدينة لوشة ومدن غرب غرناطة دخلت في حوزة المرابطين قبل هذا التاريخ بقليل، إذ أشار الأمير عبد الله إلى أن يوسف بن تاشفين أرسل إلى جميع حصون الغرب التابعين لدولته رسائل جاء فيها : ((أما بعد : فقد " جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا " (٣) إن لم تطوعونا " فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " (٤)، وإن خطابه لم يرد على معقل إلاّ وألقى بيده، وقام أهله على إخراج قائدهم، حتى تناثرت المعاقل كلها كانتثار العقد، ...، وقلت : لا طاقة لي بجميع أهل البلاد إذ غدروا وخرجوا عن الطاعة)) (٥) .

ويبدو أن مدينة لوشة ظلت تابعة إلى أمراء البيت المرابطي في غرناطة وكان فيها يحيى بن علي بن غانية (٦) حتى سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م، وعلى الرغم من عدم ورود نص مباشر إلا أن المفاوضات التي جرت بين يحيى بن غانية والموحدين Almohades,Los حول تسليم قرطبة لهم كانت في إستجة ثم اتفق الطرفان على أن يسلم ابن غانية قرطبة

---

(١) الإحاطة، ٢٥٣/٣ .

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٦/٤ .

(٣) من الآية ٨١ من سورة الإسراء .

(٤) من الآية ٢٧٩ من سورة البقرة .

(٥) التبيان، ص ١٤٨ .

(٦) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٢٠، هو يحيى بن علي بن غانية من قبيلة مسوفة البربرية، وغانية أمّه، كان رجلاً صالحاً عارفاً بالفقه والحديث، ومع هذا كان فارساً شجاعاً، أرسله الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتمكن من توطيد الأمور فيها، فعينه والياً على بلنسية ثم على قرطبة، وكانت وفاته في حدود سنة ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م، ينظر : المراكشي، المعجب، ص ١٩٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠-٤١ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠١/٤

وقرمونة Carmona إلى الموحدين [١]، وجغرافياً فإن لوشة تقع قرب إستجة [٢] ما يعني أنها دخلت في حوزة الموحدين في سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ، وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك صراحة عند ذكره لوفاة يحيى بن غانية في غرناطة، إذ ذكر أن فلوج العلج مولى ابن غانية انتقل بعد وفاة مولاه إلى حصن بني بشير إلا أنه ما لبث أن غادر الحصن مخلفاً عليه رجلاً يدعى ابن مالك ولحق بأخي مولاه إسحاق بن محمد بن غانية الذي قبض عليه وقتله، فلما بلغ ذاع خبر مقتله بادر الموحدون الذين كانوا بلوشة بالاستيلاء على الحصن [٣]، ولما كانت وفاة يحيى بن غانية في غرناطة في شعبان سنة ٥٤٣ هـ/١١٤٨ م [٤] فهذا يعني أن دخول الموحدين إلى لوشة قبل ذلك التاريخ .

وفي الحقبة الأولى من العهد الموحدي لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى أحداث وقعت فيها أو إلى ولاتها ولعلها كانت تابعة إلى ولاة الموحدين في غرناطة، ولكن بعد هزيمة الموحدين في موقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ/١٢١٢ م [٥] دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال، فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن، وفي الأندلس تحفزت القوى المحلية للانفراد بالسلطة في مختلف المناطق والثورة على الموحدين على نفس الصورة التي جرت في أواخر عهد المرابطين، وبخصوص لوشة فقد تأثرت بما جرى من منافسات بين أبناء بني عبد المؤمن، فتولى حكم الدولة الموحدية بعد وفاة الخليفة الناصر (٥٩٥-٦١٠ هـ /١١٩٨-١٢١٣ م) ابنه المستنصر بالله [٦] الذي حكم حتى سنة ٦٢٠هـ /١٢٢٣م إذ توفي فجأة فبايع أهل مراكش عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٢٠-٦٢١ هـ/ ١٢٢٣-١٢٢٤ م) بالخلافة فعارض بيعته ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذي كان والياً على مرسية Murcia بالأندلس فدعا أشياخ الموحدين إلى بيعته فتم له ذلك في سنة ٦٢١ هـ/١٢٢٤م وتلقب بالعادل (٦٢١-٦٢٤ هـ /١٢٢٤-١٢٢٦ م) وسار إلى إشبيلية وأخذ في تدبير الأمور، فأصبح للدولة الموحدية خليفتان أحدهما في مراكش والآخر في إشبيلية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، ذلك أن ابن عمّ العادل أبو محمد عبد الله بن محمد

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤١ .

(٢) ينظر الخارطة .

(٣) الإحاطة، ٢١٧/٤ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٤٢ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٢/٤ .

(٥) ينظر التفاصيل عن موقعة العقاب : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٦٣-٢٦٥ .

(٦) تولى الخلافة في الدولة الموحدية للمدة (٦١٠- ٦٢٠ هـ/ ١٢١٣- ١٢٢٣ م)، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤١-٢٤٣ .

بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي خلع بيعة العادل ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جيّان وأبدة Ubeda وبيّاسة Baeza [١]، والراجح أن لوشة قد دخلت هي الأخرى في طاعة البياسي طيلة مدة حكمه، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله : ((قام عبد الله البياسي بالأندلس وكان العادل ولاه قرطبة، فخلع دعوة العادل، وخرج عن طاعة الموحدين، واستعان بالنصارى عليهم ودلهم على عورات تلك البلاد وأدخلهم قيجاطة Quesada [٢] وغيرها من بلاد المسلمين، فتملكوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا الحريم والأولاد، ثم دخل بهم حصن باجة ولوشة وغيرها من الحصون الإسلامية، ...)) [٣] .

فيما أشار الحميري إلى أن البياسي استعان بالنصارى للسيطرة على العديد من المناطق جنوب قرطبة بقوله : ((كان عبد الله صاحب بياسة من بني عبد المؤمن وهو المعروف بالبياسي استدعى عدو الدين لما نزل عليه العادل ببياسة، فحاصره فأقلع عنه دون شيء، فلما لم يجد في المسلمين كبير إعانة استدعى النصارى فوصلوا إليه، فسلم إلى ألفنش بياسة وجازى أهلها شرّ الجزاء، بعد ما آووه ونصروه، فأخرجهم منها وسار مع الفنش ليأخذ معاقل الإسلام باسمه، فدخل قيجاطة من عمل جيان بالسيف، فقتل العدو فيها خلقاً كثيراً وأسر آخرين، وكان حديثها شنيعاً تنفر منه القلوب والأسماع، ثم نهض أيضاً ومعه العدو إلى لوشة من عمل غرناطة، فاعتصم أهلها بسورها الحصين وقاتلوا أشد القتال، وأسمعوه ما أهاج غيظه، فلما تمكن منها سلط عليهم عدوهم في الدين ففتكوا بهم أشد الفتك، ثم ساروا إلى بيغو (باغة) هذه فأطال مع الفنش حصارها إلى أن دخل البلد بعد شدة وصالحه أهل القلعة، وما زال أمره يقوى إلى أن احتوى على قرطبة ومالقة وكثير من معاقل هاتين القاعدتين وبلادهما، ...)) [٤] .

ثم قرر البياسي بعد أن فرض سيطرته على معظم مناطق الأندلس الوسطى، أن يستولي على إشبيلية ويقضي على منافسه نهائياً، فخرج بقواته صوبها سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م فاستعد الجيش الموحدي للقائه ونشبت معركة هُزم فيها البياسي، ومزق جيشه، وارتد إلى قرطبة الذين

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١ .

(٢) قيجاطة مدينة أندلسية من أعمال مدينة جيّان، ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨ .

(٣) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١ .

(٤) الروض المعطار، ص ١٢٢ .

ثاروا عليه وقتلوه في نفس السنة أعلاه [١]، وهذا يعني أن لوشة عادت مرة أخرى إلى نفوذ الموحدين، وقد أشار المقري إلى ذلك بقوله : ((ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة، مع السيد أبي محمد البياسي في الفتنة التي كانت بينه وبين العادل، فعاثوا فيها أشد العيث، ثم ردها المسلمون)) [٢] .

ولكن اضطراب الأمور في الدولة الموحدية أدى إلى قيام ثورات عديدة في الأندلس، وبقدر ما يتعلق الأمر بلوشة فإن أشهرها تلك التي قادها محمد بن يوسف بن هود الجذامي [٣] ومحمد بن يوسف بن الأحمر [٤]، وكان الأول قد ثار على الموحدين سنة ٦٢٥ هـ/١٢٢٧ م في شرق الأندلس وسرعان ما تمكن من السيطرة على معظم مناطق الأندلس في الوسط والشرق كما حاول مدّ نفوذه إلى الغرب الأندلسي وغدا أكبر الثوار الذي سيوحد الأندلس على يديه ، وقد علق ابن الخطيب على ذلك بقوله : ((وصرح له تملك الأندلس، وأطاعته سبتة، وملك رباط الفتح)) [٥]، كما ذكر ابن أبي زرع أنه في سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠ م ملك الأندلس ابن هود ولم يبق للموحدين فيها أمرٌ ولا نهي [٦]، وعلى هذا فإن لوشة كانت ضمن نفوذه .

إلا أن الذي خطف من ابن هود آماله هو ظهور الثائر الآخر من بني نصر وهو محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالغالب بالله الذي يرجع نسب عائلته كسادة على حصن

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٤ .

(٢) نفح الطيب، ٤٦١/٤ .

(٣) وهو من سلالة بني هود حكام سرقسطة ملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية بعد انقراض دولة الموحدين وأعلن الخطبة العباسية، وكانت وفاته سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٨-٢٨٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٦/٢-٢٥٠ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٤-٢٦٦.

(٤) محمد بن يوسف بن الأحمر النصري من سلالة الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري ظهر في أواخر الدولة الموحدية في الأندلس وخضعت له العديد من المعاقل الجنوبية ومنها غرناطة، وأخذ سلطانه يتسع بعد وفاة ابن هود، وتمكن من تكوين مملكة له وراثية استمرت حتى نهاية الإسلام في الأندلس، وكانت وفاته سنة ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢ م، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٢ وما بعدها ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٧-٢٦٩ .

(٥) أعمال الأعلام، ٢٤٨/٢ ؛ ينظر أيضاً : الإحاطة، ٧٦/٢ .

(٦) الأنيس المطرب، ص ٢٧٥ .

أرجونة Arjona [١] الواقعة على مقربة من نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir، وكان لبني نصر في تلك المنطقة عصبية ووجاهة، فلما اضطربت الأمور في الدولة الموحدية وظهر ابن هود في شرق الأندلس، لاحت لمحمد بن يوسف بن الأحمر فرصة الظهور، فدعا لنفسه وبويع أولاً في أرجونة موطن أسرته وأنصاره وفي المناطق القريبة منها وذلك سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١ م [٢] .

ومن أرجونة أخذ ابن الأحمر يوسع نفوذه، ففي سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م تمكن من الدخول إلى مدينة جيان وقرطبة وبعض مناطق غرب الأندلس [٣] ثم أطاعته أهالي مدينتي بسطة ووادي آش [٤]، وهذا يعني أن لوشة قد أصبحت ضمن مناطق نفوذه، وهكذا قوى أمره وأخذ يتطلع إلى الاستيلاء على القواعد الجنوبية، وأراد أن يستظل بلواء سلطة إسلامية مرموقة، فدعا أولاً للأمير أبي زكريا الحفصي [٥] صاحب إفريقية، وتلقى منه بعض العون، ولكنه عاد فخطب للخليفة العباسي المستنصر بالله [٦] [٧] .

ويبدو أن ابن هود شعر بخطورة هذه الحركة التي يضطلع بها منافسه الجديد، فأخذ يتأهب لمواجهته والقضاء على حركته، كما أن ابن الأحمر كان مستعداً لمواجهة ابن هود لكي يكون هو على رياسة الأندلس، وقد تأهب الطرفان للمواجهة العسكرية، وحشد كل منهما ما استطاع من قواته، وحدث الصدام على مقربة من إشبيلية، وانتهت المعركة بهزيمة ابن هود وانتصار ابن الأحمر سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م [٨] .

---

(١) بلد ناحية جيان بالأندلس، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦ .

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥-٢٧٦ ؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٣١ ؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٣٩٥-٣٩٦ .

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤١٥ .

(٥) هو أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي بويع له بالخلافة في الدولة الحفصية سنة ٦١٨ هـ/١٢٢١ م وتوفي سنة ٦٤٩ هـ/١٢٥١ م، ينظر : ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص ١٢٥-١٢٧

(٦) تولى الخليفة المستنصر بالله الدولة العباسية للمدة من ٦٢٣-٦٤٠ هـ/١٢٢٦-١٢٤٢ م، ينظر : السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٤-٥٤٨ .

(٧) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٣١ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٨ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤٣١-٤٣٢ .

(٨) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٦ .

إلا أن الأمور قد تغيرت فيما بعد، إذ أدرك الطرفان خطر الحرب فيما بينهما، وأن المستفيد الوحيد من ذلك هم النصارى المتمثلون بمملكة قشتالة، لذا عقد الصلح بينهما في سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م، وكان من نتائج هذا الصلح أن يعترف ابن الأحمر بطاعة ابن هود مقابل أن يقره الأخير على جيان وأرجونة وبركونة Porcuna وأحوازها [١] وقرطبة وقرمونة [٢]، ولكن سقوط قرطبة بيد النصارى سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م [٣]، دفعت ابن الأحمر إلى الزحف نحو غرناطة ودخلها سنة ٦٣٥ هـ /١٢٣٧ م واتخذها قاعدة لملكه [٤]، وبذلك غدت المنطقة من جيان إلى غرناطة تحت نفوذه بما فيها مدينة لوشة، وقد حدد عنان سلطان مملكة بني الأحمر عند قيامها بقوله : كانت مملكة غرناطة عند قيامها في أواسط القرن السابع الهجري تشمل القسم الجنوبي من الأندلس القديمة، وتمتد فيما وراء نهر الوادي الكبير إلى الجنوب، حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق، ويحدها من الشمال ولايات جيّان وقرطبة وإشبيلية، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر المتوسط الممتد منها إلى الجنوب، ومن الغرب ولاية قادس Cadiz [٥] .

وفي ظل دولة بني الأحمر تحولت مدينة لوشة إلى ثغر ما تطلب إقامة وسائل الدفاع عنها لحمايتها من هجمات النصارى المجاورين لها، وقد وصفها ابن الخطيب في أيامه بقوله : ((وأسباب التطوّف بها متعذرة، ومنازلها لنزائل الجند نازلة، وعيون العدو لثغرها الشنيب مغازلة)) [٦] .

ففي سنة ٧١٩ هـ/١٣١٩ م حشد ملوك أسبانيا النصرانية قواتهم وقرروا استئصال المسلمين من جزيرة الأندلس وأعدوا لذلك جيوشاً من البر والبحر لقطع الإمدادات من المغرب وسارت معهم قوات انكليزية ذات نزعة صليبية، فكتب سلطان غرناطة أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر (٧١٣-٧٢٥ هـ/١٣١٣-١٣٢٤ م) إلى سلطان المرينيين أبي سعيد عثمان بن أبي

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٦/٤ .

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥ .

(٣) ينظر عن سقوط قرطبة : الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٦٧ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٦ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٨/٤-٤٢٥ .

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٢-٣٤٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣٠/٤ .

(٥) دولة الإسلام في الأندلس، ٥٥/٥ .

(٦) معيار الاختيار، ص ١٢٦ .

يوسف بن عبد الحق المريني (٧١٠ – ٧٣١ هـ/ ١٣١٠-١٣٣٠ م) يستنجده فتقاعس أول الأمر فلما رأى تكالب الجيوش الصليبية على المسلمين انجده بقائده الشيخ أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء، فتقدمت جيوش النصارى وعسكروا على طول وادي نهر شنيل من بسيط لوشة، وبدأت المعركة بمناوشات ، فخرجت سرية من فرسان قشتالة نحو أرض المسلمين فاعترضهم جماعة من فرسان الأندلس ثم فروا أمامهم فتبعوهم فلما توسطوا لوشة كرّ عليهم المسلمون فاستأصلوهم فكان أول نصر للمسلمين ، ثم أرسل إليهم الشيخ أبو سعيد مجموعة من فرسان المسلمين فيهم أمير لوشة أبو المكارم ريان بن عبد المؤمن واستطاعوا هزيمة الجيش القشتالي وحلفائه على ضفاف نهر شنيل وغنموا منهم أموالاً طائلة وقتلوا منهم خمسين ألفاً وقيل ستين ألفاً [١] .

شهدت المرحلة الأخيرة من حياة سلطنة غرناطة (٨٦٨ هـ ٨٩٧ هـ/١٤٦٣-١٤٩١ م) استفحال الصراع الأسري بين حكام بني الأحمر حتى صفت إلى السلطان أبي الحسن علي بن سعد بن الأحمر الذي طال حكمه للمدة (٨٦٨-٨٨٧ هـ/ ١٤٦٣-١٤٨٢ م)، وقد وصفه مؤلف مجهول وهو معاصر له بالقول : ((...، وانقرضت أَعْلَام الْفِتْنَة وخمدت نارها ودانت لَهُ جَمِيع بِلَاد الأندلس وَلم يبْق لَهُ فِيهَا معاند وَهُوَ مَعَ ذَلِك يَغْزُو بِلَاد الرّوم الْمرة بعد الْمرة حَتَّى غزا غزوات كَثِيرَة وَأظْهر الْأَحْكَام وَنظر فِي مصَالح الْحُصُون ونمى الْجَيْش فهابته النَّصَارَى وصالحته براً وبحراً وَكثر الْخَيْر وانبسطت الأرزاق ورخصت الأسعار وانتشر الْأَمْن فِي جَمِيع بِلَاد الأندلس وشملتهم الْعَافِيَة فِي تِلْكَ الْمدَّة وَضربت سكَّة جَدِيدَة طيبَة)) [٢]، وأضاف : إلا أن السلطان بعد حادثة السيل الذي تعرضت له غرناطة سنة ٨٨٣ هـ/١٤٧٨ م [٣] ((اشْتغل باللذات والإنهماك فِي الشَّهَوَات وَاللَّهْو بِالنسَاء المطربات وركن إِلَى الرَّاحَة والغفلات وضيع الْجند وَأسْقط كثيرا من نجدة الفرسان وَثقل المغارم وَكثر الضرائب فِي الْبلدَانِ ومكس الْأَسْوَاق وَنهب الْأَمْوَال وشح بالعطاء إِلَى غير ذَلِك من الْأُمُور الَّتِي لَا يثبت مَعهَا الْملك)) [٤] .

وفي المقابل شهدت العلاقات بين مملكتي قشتالة وأراغون تطوراً مهماً كان له أسوأ الأثر على مستقبل مسلمي الأندلس، ففي سنة ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩ م تزوجت إيزابيلا بنت خوان الثاني ملك قشتالة وأخت الملك هنري الرابع (٨٥٩-٨٧٩ هـ/ ١٤٥٤-١٤٧٤ م) من فرناندو بن

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ٣١٢/٣٢-٣١٤ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٧/١-٢٠٨ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١١٨/٥ .

(٢) نبذة العصر، ص ٣٦-٣٧ .

(٣) ينظر التفاصيل عن حادثة السيل : مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٤١-٤٥ .

(٤) نبذة العصر، ص ٤٥ .

خوان الثاني ملك أراغون (٨٦٣-٨٨٤ هـ/ ١٤٥٨-١٤٧٩ م)، وعندما توفي هنري الرابع بدون وريث للعرش توجت أخته إيزابيلا لعرش قشتالة، كما ورث فرناندو الأرغوني أباه عند وفاته، فكان ثمرة ذلك الزواج أن اتحدت المملكتان قشتالة وأراغون [١]، ولُقبا بالملكين الكاثوليكيين [٢] .

في الوقت نفسه حصل تطور خطير على الساحة السياسية في غرناطة هو الفرقة التي حدثت بين السلطان أبي الحسن وولديه أبي عبد الله محمد (الصغير) وأبي الحجاج يوسف، ويرجع سبب ذلك إلى أن السلطان كان قد تزوج من ابنة عمّه عائشة الحرة [٣] فأولدها ولديه أعلاه، ثم تزوج من فتاة نصرانية تدعى ثريا [٤] وأولدها ابنيه سعد ونصر فأوغرت صدره على ولديه من عائشة فاعتقلهما مع أمّهما إلا أنهما تمكنا من الفرار والتغلب على السلطة في غرناطة وتربع أبو عبد الله الصغير على عرش غرناطة أواخر سنة ٨٨٧ هـ/١٤٨٢ م، وكان السلطان أبو الحسن وقت فرار الأميرة وولديها في لوشة للدفاع عنها، إلا أنه اضطر إلى تجميع أنصاره مكوناً منهم قوة بلغت خمسمائة شخص زحف بها نحو مدينة غرناطة حيث ابنه أبو عبد الله الصغير، وتمكن مع رجاله من تسلق أسوار مدينة غرناطة وخاض معركة عنيفة مع أنصار ابنه قتل فيها الكثير من أتباعه مما اضطره إلى التراجع والهرب إلى مالقة [٥] حيث أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل [٦] .

---

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٨٢/٥ ؛ الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص ٤٩ .

(٢) الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ص ٤٩ .

(٣) وهي عائشة بنت الأمير محمد الأيسر ابنة عمّ السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصري تزوجها سنة ٨٥٧ هـ/١٤٥٣ م وتوفيت في حدود سنة ٨٩٧ هـ/١٤٩١ م، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٩٣-١٩٦ .

(٤) وهي جارية رومية كان اسمها إيزابيلا أخذت أسيرة في إحدى المعارك وألحقت وصيفة بقصر الحمراء فاعتنقت الإسلام وتسمت بثريا وكانت حسناء فتعلق بها السلطان وتزوجها وأولدها اثنين هما سعد ونصر، وبعد سقوط غرناطة لم تغادر الأندلس فقد تنصرت هي وولديها، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ٩٠-٩١، وذكر إيرفنغ أن اسمها فاطمة ولقبها الزوراء وهي مسيحية بالولادة ابنة القائد سانشو أكزيمنس دي سولي، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٦

(٥) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٧-٩٨ .

(٦) المقري، نفح الطيب، ٥١٤/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٢/٥ .

وقد اغتنم النصارى ذلك الانقسام الذي تزامن مع انقضاء مدة الهدنة التي عقدها السلطان مع قشتالة بمهاجمة أراضي مملكة غرناطة فاستولوا على مدينة الحمة وذلك سنة ٨٨٧ هـ/ ١٤٨٢ م [١]، ثم قام الملك القشتالي بمهاجمة مدينة لوشة القريبة من الحمة إذ أن هاتين المدينتين تمهدان الطريق إلى غرناطة .

وبخصوص الأحداث الأخيرة التي أدت إلى سقوط مدينة لوشة هناك روايتان للأحداث الأولى مصدرها مؤلف مجهول مسلم معاصر لتلك الأحداث وهو صاحب كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، والثانية نصرانية مصدرها رجل دين نصراني معاصر للأحداث يدعى أنطونيو آغابيدا استقى واشنطن إيرفنغ معلوماته منه [٢] .

وحسب الرواية المسلمة، ففي السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٨٨٧ هـ/ ١٤٨٢ م خرج الملك القشتالي إلى لوشة ونزل عليها، وكانت حامية المدينة تحت قيادة أحد رجالاتها وهو الشيخ علي العطار (والد مريم زوجة أبي عبد الله الصغير) وكان رغم شيخوخته يعد من أبرع فرسان العصر، كما سارع السلطان أبو الحسن لنجدة لوشة وتمكنوا من صد النصارى وهزيمتهم بعد خسائر فادحة، وقد سمى صاحب كتاب نبذة العصر المعاصر للأحداث هذه المعركة بمعركة لوشة العظيمة وعلق عليها قائلاً : ((خرج صَاحب قشتالة بمحلة عَظِيمَة وَقصد مَدِينَة لوشة فَنزل عَلَيْهَا بمحلته وَكَانَ قد اجْتمع فِيهَا جملَة من نجدة رجال غرناطة حِين سمعُوا بِخُرُوجِهِ إِلَيْهَا فَلَمَّا قرب من الْبَلَد خرج إِلَيْهِ الرِّجَال والفرسان فقاتلوه قتالاً شَدِيداً وردوه على أعقابه وَقتلُوا كثيرا من النَّصَارَى وَأخذُوا لَهُم من تِلْكَ الْعدة الَّتِي قربوا بهَا من الأنفاط وَغير ذَلِك من عدَّة الْحَرْب، ثمَّ إِن الْأَمِير أَبَا الْحسن أمدهم بقائد من غرناطة يَقُود جَيْشًا من الفرسان فِي تِلْكَ اللَّيْلَة فاشتدت عِنْد ذَلِك عصبَة الْمُسلمين وقويت قُلُوبهم، فَلَمَّا أصبح الصَّبَاح وَرَأى النَّصَارَى الزِّيَادَة فِي جَيش الْمُسلمين مَعَ مَا نالهم من أول اللَّيْل من الْهَزِيمَة وَالْقَتْل وَأخذ الْعدة داخلهم الرعب وَاشْتَدَّ خوفهم فَأخذُوا فِي الإرتحال عَنْهُم فَخرج إِلَيْهِم الْمُسلمُونَ فقاتلوهم قتالا شَدِيدا فَانْهَزَمَ النصاري وَتركُوا كثيرا من أخبيتهم وأمتعتهم وأطعمتهم وَآلَة حربهم وَتركُوا من الدَّقِيق شَيْئا كثيرا فاحتوى الْمُسلمُونَ على جَمِيع ذَلِك كُله وَانْصَرف الْعَدو مهزوما مفلولا إِلَى بَلَده ففرح المُسلمُونَ بذلك فَرحا عَظِيما وَكَانَ ذَلِك فِي السَّابِع وَالْعِشْرين من جُمَادَى الأولى من عَام سَبْعَة وَثَمَانِينَ وثمان مئة)) [٣] .

(١) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٥٤-٥٦ ؛ إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٩ .
(٢) ينظر : أخبار سقوط غرناطة، ص ٤٩ .
(٣) نبذة العصر، ٥٧-٦٠ ؛ ينظر أيضاً : المقري، نفح الطيب، ٥١٤/٤ .

أما الرواية النصرانية فذكرت أن الملك القشتالي غادر قرطبة في نهاية حزيران وحط رحاله حول مدينة الأقصى (لوشنكا – لوشة) ووزع قواته على شاطىء نهر أكزنيل (شنيل) وبين حقول الزيتون ولكن صعوبة الأرض التي تتخلخلها الوديان العميقة جعل تلك القوات منفصلة لا يمكن معونة بعضهم البعض، وكانت الأقصى (لوشة) تحت زعامة الشيخ العجوز أبو علي العطار وهو في التسعين من عمره ولكنه كان شاب الروح والحركة، فعمل على مهاجمة فرسان اسبانيا الذين اندفعوا للقائه ففر أمامهم بعد وضع كمين لهم، فلما ابتعدوا عن مخيمهم كرّ راجعاً عليهم وخرج الكمين مما أوقع بهم خسائر كبيرة مقتل بعض قادتهم وقد أدرك الملك القشتالي خطأ موقعه، فقرر الأنسحاب لحين وصول تعزيزات أخرى له من قرطبة، وفي هذا الأثناء انتهز علي العطار الفرصة فهاجم الجيش المنسحب مما أشاع الذعر والفوضى بين صفوفه وكاد الملك أن يحاصر بسبب شدة ضربات الجند المسلمين الذين استولوا على العديد من قطع المدفعية التي تركها الجيش القشتالي في المعركة، واستمر علي العطار يتعقبهم حتى أبعدهم عن لوشة [١] .

وفي صفر من سنة ٨٨٨ هـ/١٤٨٣ م استطاع السلطان أبو الحسن هزيمة النصارى في موقعة مالقة وقتل وأسر أعداداً كبيرة منهم [٢]، وكان صدى هذا النصر كبيراً وارتفعت شعبية السلطان أبو الحسن بين الناس فيما عيب على أبي عبد الله الصغير خنوعه، لهذا قرر الأخير القيام بعمل ضد النصارى يعيد إليه شعبيته، وذلك لأن مكانة أي حاكم آنذاك تقاس بمدى انتصاره على النصارى وصد هجماتهم [٣] .

وفي ربيع الثاني من سنة ٨٨٨ هـ/١٤٨٣ م أُسر الأمير أبو عبد الله الصغير أمير غرناطة ، ونحن هنا أيضاً أمام روايتين إسلامية ونصرانية، والرواية الإسلامية مقتضبة وخالية من التفاصيل فيما أسهبت الرواية النصرانية مبتهجة بتحقيق النصر، وملخص الرواية الإسلامية أن الأمير أبا عبد الله الصغير خرج بأهل غرناطة وهاجم مناطق النصارى ورجع محملاً بالغنائم وعندما وصل بجيشه إلى اللسانة [٤] خرج عليهم كمين من النصارى فانهزم المسلمون وتبعهم النصارى قتلاً وأسراً وكان من بين الأسرى الأمير نفسه ولم يعرفوه إلا بعد ذلك فحملوه إلى ملك قشتالة الذي أكرمه وعظمه ورأى أنه سيصل به إلى ما يأمله من أخذ

(١) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٩٩–١٠٣ .

(٢) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٦٢–٦٥ ؛ المقري، نفح الطيب، ٥١٤/٤ .

(٣) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٢٠ .

(٤) اللسانة وهو حصن يقع بالقرب من كورة قبرة، ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣/١ .

بلاد الأندلس، وأضاف صاحب الرواية أن ((أشنع مَا كَانَ فِيهَا – أي معركة اللسانة– أسر الْأَمِير أبي عبد الله مُحَمَّد بن عَليّ لِأَنَّهُ كَانَ سَببا فِي هَلَاك الوطن)) [١] .

أما الرواية النصرانية والتي يرويها رجل الدين المتعصب آغابيدا فذكرت أن الأمير أبا عبد الله الصغير كان صهراً لأبي علي العطار قائد لوشة، فاتصل به وأعلمه ضرورة القيام بعمل يوازي ما حققه والده في مالقة، فقال له صهره علي العطار أن العدو في حالة ضعف بسبب الهزائم التي مني بها أمام لوشة ثم مالقة لذا فإن الأبواب مفتوحة أمامهم حتى قرطبة، فشكل الأمير قوة من سبعمائة فارس وتسعة آلاف راجل وعندما وصل إلى لوشة انضمت إليه قوة من فرسان صهره علي العطار ثم انطلقت القوات مخترقة الحدود من بلاد النصارى ففوجئوا باستعدادات عدوهم الكاملة وجرت معركة حامية بين الوديان والشعاب تلقى خلالها الجيش القشتالي المزيد من الامدادت مما اضطر الجيش الإسلامي إلى الانسحاب المنظم إلا أنهم عند شاطئ أحد الأنهار وكان الماء فيه يجري بقوة ففر المشاة وبقي الأمير أبو عبد الله مع قلة من فرسانه يقاتلون ثم أحاط به الجنود النصارى وهم لا يعرفونه فعرض عليهم مبلغاً من المال لقاء ولكن أحدهم أراد إمساكه فقتله الأمير عندها جاء أحد قادة الجيش القشتالي فقال له أحد الجنود نحن نريد أن نأسر عربياً يبدو أنه ذو منصب عال وهو يعرض علينا فدية، فقال الأمير : أنا استسلم لهذا الفارس، فنقلوه إلى الخلف واستمر الجيش القشتالي يضغط والجيش الإسلامي يتراجع فوضوياً حتى وصلوا إلى نهر شنيل عند مدينة الأقصى (لوشة)، عندها وقف الشيخ علي العطار على حدود النهر يدافع عنها وعن مدينته لوشة وبسبب تدافع الجند النصارى وانسحاب المشاة المسلمين فقد جرح الشيخ علي العطار فعرضوا عليه الاستسلام فرفض فتلقى ضربة ألقته في النهر واختفت جثته مع التيار، وهكذا بأسر الأمير أبا عبد الله الصغير ومقتل القائد علي العطار فقد الجيش الإسلامي كل حماسة فكانوا بين منهزم وقتيل وغريق وأسير [٢]

استغل الملك القشتالي حالة الفوضى التي حلت في صفوف المسلمين وحالة الزهو التي تمتع بها جيشه فهاجم العديد من الحصون والمدن المحيطة بغرناطة، ففي الغرب استولى على

(١) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٦٥-٦٧ ؛ ينظر أيضاً : المقري، نفح الطيب، ٥١٥/٤ .

(٢) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٢٠-١٣١ .

حصن قرطمة [١] ودكوين سنة ٨٩٠ هـ/١٤٨٥ م، وفي السنة نفسها استولى على رندة Ronda [٢] ثم حصن قنبيل [٣] وما جاوره من الحصون [٤] .

وكان الأمير أبو الحسن قد طعن في السن وأعياه المرض فتنازل لأخيه أبي عبد الله الزغل حاكم مالقة [٥]، وفي محاولة من ملكي قشتالة تعميق الانشقاق بين أقطاب السلطة في غرناطة أفرجا بعد ذلك عن أبي عبد الله الصغير بعد أن أخذا عليه المواثيق بتبعيته لهم مع جزية سنوية [٦] .

وعندما أُطلق سراح أبي عبد الله الصغير كان عمّه أبو عبد الله الزغل يُحكم سيطرته على غرناطة ويطمع بالسيطرة على جميع ما تبقى من الأندلس لنفسه، فعمد الصغير إلى التوجه إلى شرق الأندلس ودخل حصن بلش Velez بمساعدة قوة من النصارى وأعلن نفسه ملكاً، وأخذ يبث دعوته، ويشيد بمزايا الصلح المعقود مع ملكي قشتالة، وأنه يضمن للمسلمين الاستقرار والسلم، وأنه يُطبق في سائر الأنحاء التي تدخل في طاعته [٧] ، وقد علّق مؤلف مجهول المعاصر للأحداث على ذلك بقوله : ((استولى العَدو على حصن صَالِحَة من حصون بلش ثمَّ إن العَدو دمره الله سرح الْأَمِير أَبَا عبد الله مُحَمَّد بن عَليّ إِلَى بعض حصون الشرقية ووعده بِالصُّلْحِ إِن أطاعه الشّعب فَقَامَتْ بدعوته تِلْكَ الْحُصُون طَمَعاً بِالصُّلْحِ وبالبقاء فِي الْحُصُون)) [٨] .

وهكذا أصبح لغرناطة حاكمين من بني الأحمر استقر أبو عبد الله الصغير في المناطق الشرقية، فيما يحكم عمّه أبو الله الزغل غرناطة ومالقة والمرية Almeria [٩]، وفيما كانت نار

---

(١) مدينة بالأندلس غربي قرطبة وهي من أعمال رية، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٣ .

(٢) رندة معقل حصين بالأندلس وهي من أعمال تاكرنا، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٣٢ .

(٣) حصن قنبيل وهو حصن يقع بالقرب من حصن روطة إلى الغرب من قرطبة، ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ٥٥٤/٤ .

(٤) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٦٨، ٧٠، ٧٥ .

(٥) المقري، نفح الطيب، ٥١٥/٤ .

(٦) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٧٦ ؛ إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٣٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٤/٥-٢٠٥ .

(٧) المقري، نفح الطيب، ٥١٦/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٨/٥ .

(٨) نبذة العصر، ص ٧٦ .

(٩) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٧٨ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٠٩/٥

الفتنة قائمة بين الخصمين كانت جيوش قشتالة قد استولت على العديد من المدن والحصون وأخذت تُضيّق الخناق على غرناطة [١] .

وأشار مؤلف مجهول إلى أن صلحاً وقع بين الأمير أبي عبد الله الصغير وعمّه أبي عبد الله الصغير على أن يسلم إلى عمه الحكم ويكون هو تابع له وأرسل إلى أنصاره في غرناطة يعلمهم بالصلح مع عمّه وغادر حصون الشرقية إلى لوشة وذلك جماد الأولى سنة ٨٩١ هـ/١٤٨٦ م [٢]، وأشار المقري إلى الصلح قائلاً : ((بأن العمّ يكون له الملك، وابن أخيه تحت إيالته بلوشة أو بأي المواضع أحب، ويكونون يداً واحدة على عدو الدين)) [٣] .

وما كاد الأمير أبو عبد الله الصغير يستقر في لوشة حتى جاء الملك القشتالي بجيش عظيم وضرب عليها الحصار، وهنا انقسمت الرواية الإسلامية على وجهين، فمؤلف مجهول الذي كان معاصراً للأحداث أشار إلى أن أهالي لوشة عندما حصل بينهم الأمير أبو عبد الله الصغير وحاصرهم الملك القشتالي تحصنوا وقاتلوا مع أميرهم فلما رأوا أن لا طاقة لهم بالعدو طلبوا الأمان ((وَاتَّفَقُوا على أَن يخرجُوا مُؤمنين بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادهمْ وخيلهم وسلاحهم ودوابهم وَجَمِيع مَا يقدرُونَ على حمله، فأجابهم الْعَدو لذَلِك ووفى لَهُم بِهِ فَأخذُوا فِي إخلاء الْبِلَاد ووصلوا إِلَى غرناطة بِمَا مَعَهم، وَكَانَ اسْتِيلَاء الْعَدو على مَدِينَة لوشة فِي السَّادِس وَالْعِشْرين من جُمَادَى الأولى من عَام إِحْدَى وَتِسْعين وثمان مئة، وَلم يسرح صَاحب قشتالة الْأَمِير مُحَمَّد بن عَليّ بل حَبسه عِنْده ليستأصل بِهِ بَقِيَّة الأندلس)) [٤]، وحسب هذه الرواية فإن الأمير أبا عبد الله الصغير أسر للمرة الثانية في لوشة .

فيما ذكر المقري رواية تتهم فيها الأمير أبو عبد الله الصغير بالتواطؤ مع ملك قشتالة لتسليم لوشة، إذ قال : ((...، وبينما هم كذلك، إذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعُدد، ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذي كان أسيراً، وضيق بها الحصار، وكان قد دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد ولمعاضدة وليهم، وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة، فلم يأت لنصرته غير البيازين، واشتد عليهم الحصار، وكثرت الأقاويل، وصرحت الألسن بأن ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة، ودخل على أهل لوشة في ريضهم، وخافوا من الاستئصال، فطلبوا الأمان في أموالهم

---

(١) ينظر التفاصيل : مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٧٩ – ٨٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥/٢١٣-٢١٤ .

(٢) نبذة العصر، ص ٧٧-٧٨ .

(٣) نفح الطيب، ٥/٥١٧ .

(٤) نبذة العصر، ص ٧٩-٨٠ .

وأنفسهم وأهليهم، فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك، وأخذ البلد في السادس والعشرين لجمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثمانمائة، ...، وهاجر أهل لوشة إلى غرناطة، وبقي السلطان أبو عبد الله الذي كان مأسوراً مع النصراني في لوشة، فصرح عند ذلك أهل غرناطة بأنه ما جاء للوشة إلاّ ليُدخل إليها العدو الكافر ، ويجعلها فداءً له، وقيل : إنه سرح له حينئذ ابنه إذ كان مرهوناً في الفداء، وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين في ذلك، وظهر ما كان كامناً في القلوب، ثم رجع صاحب قشتالة إلى بلاده ومعه السلطان المذكور)) [١] .

أما الرواية النصرانية فلا تختلف كثيراً في مضمونها عن رواية صاحب نبذة العصر إلاّ أنها أكثر تفصيلاً، فأشارت إلى أنه عندما حاصر الملك القشتالي لوشة كان أبو عبد الله الصغير فيها، وقد وقع في ورطة في موقفه بين رعيته التي تطالبه بالدفاع عن مدينتهم لوشة وبين تعهداته لملك قشتالة بأن يكون خاضعاً له، ثم اختار المقاومة ومقاتلة النصارى، فلبس درعه وانطلق يقاتل مع أربعمائة فارس وأربعة آلاف رجل بكل شجاعة حتى وصل إلى الصفوف الأمامية فأصيب بجروح مما اضطر للانسحاب جريحاً إلى داخل مدينة لوشة، ومع ذلك لم يتغير الموقف فقد استمر المقاتلون المسلمون يقاتلون بكل ضراوة وسقطت الدماء من الطرفين لأن الجميع يدرك أهمية لوشة ومحيطها بالنسبة لغرناطة، وفي هذا الأثناء جاءت تعزيزات إلى الجانب النصراني متمثلة بقوات انكليزية، فاختلطت العمائم بالخوذ الصليبية بصراع عنيف يداً بيد، إلاّ أن الكفة بدأت تميل لصالح الجيش النصراني بسبب فقدان المسلمين للعديد من قادتهم مما اضطرهم لنقل القتال إلى داخل المدينة بين بيوتها وشوارعها، عندها دخل الجيش النصراني إلى ضواحي لوشة بمساندة وقوة الجيش الانكليزي الذي جرح قائده وهو ولي العرش في المعركة، ثم عملوا على نصب المدفعية في ضواحي لوشة وأخذوا يطلقون نيرانها على أحياء المدينة، وقد وصفت الرواية النصرانية حالة أهالي لوشة آنذاك بالقول : ((...، وفي لحظات مثل هذا اليأس كان الكثير من العرب يخرجون من الأسوار نحو ضواحي المدينة، ويهاجمون النصارى بالعصي والفؤوس والسيوف والهراوات عسى أن يبعدوهم عن مراكز الضرب والتهديم للمدينة بدون أي مخطط أو تفكير على أمل أنه إذا مات المهاجم هكذا فعوضه الجنة بدل أن ينفق تحت الهدم والردم، واستمر هذا المشهد لمدة يومين بليلتيهما، دفعت أهل الحل والعقد في المدينة إلى الشعور باستحالة وعبثية المقاومة، فملكهم عاجز، ومعظم قادة جيشهم بين جريح أو قتيل، وحصونهم لا تزيد عن أنها صارت أنقاضاً، فمثلما دفعوا بأبي عبد الله أن يدافع ويهاجم صاروا الآن يدفعونه للتسليم)) [٢] .

---

(١) نفح الطيب، ٤/٥١٧-٥١٨ .

(٢) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٢١٢-٢١٧ .

وكانت شروط تسليم مدينة لوشة حسب الرواية النصرانية هي :

١- تسليم المدينة مع كل النصارى الأسرى فيها .

٢- إخلاؤها من السكان الذين يمكنهم أخذ ما يقدرون على حملة نحو إفريقية، والذي يختار منهم أن يبقى في اسبانيا عليه أن يبقى في مدن محددة مثل : قشتالة وأراغون وبلنسية Valencia، على أن يكون خولا للملك فرناند الذي يستطيع أن يعامله كيف يشاء ولا عهد له عليه ولا ذمة .

٣- أما الأمير أبو عبد الله الصغير فلن يحاسب على نكثه بقسمه السابق أمام الملك إذا سلم كل مملكة غرناطة للملك، شرط أن تسلم هذه المملكة خالية من سيطرة الزغل [١] .

وقد علق إيرفنغ على هذه الشروط قائلاً : ((وهكذا خرج محاربو هذا الحصن الشامخ نحو ذل الاستسلام الذي كانوا يرفضونه كل هذه المدة الطويلة بشرف وأباء، وهم يشيعون بصراخ حريمهم وأطفالهم المتجهين نحو المنفى خارج بلادهم)) [٢]، وهكذا سقطت المدينة بيد ملك قشتالة مدعوماً بقوات انكليزية صليبية في ٢٦ جماد الأولى سنة ٨٩١ هـ/ مايو ١٤٨٦ م .

وقد علق عنان على موقف الأمير أبي عبد الله الصغير بقوله : إننا نرى على ضوء الرواية الإسلامية، أن موقف أبي عبد الله من حوادث لوشة، كان موقفاً مريباً، والواقع أنه كان يبذل جل جهده للدعوة إلى قضيته، وإلى مقاومة عمّه ونزعه عن العرش، وكان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة لملك قشتالة، ويشيد بمزايا الصلح المعقود معه، ولم يكن خافياً أنه يستظل بمظاهرة النصارى وتأييدهم، وأنه غدا آلة في يد ملك قشتالة يعمل بوحيه وتوجيهه، ولما غادر ملك قشتالة مدينة لوشة أخذ معه أبا عبد الله إما أسيراً أو أنه سار معه ليستمد عونه في تنفيذ خطته للاستيلاء على عرش غرناطة، وهى خطة يؤيدها ملك قشتالة ويشجعها، لأنها تخدم أغراضه ومطامعه في القضاء على تلك المملكة الصغيرة التي مزقتها الحرب الأهلية [٣] .

ونحن نرى أن ذهاب الأمير أبي عبد الله الصغير إلى لوشة يثير بعض الشكوك، صحيح أن لوشة مقر أصهاره، إلا أن توقيت ذهابه إليها بعد اتفاقه مع عمّه ثم محاصرة الملك القشتالي لها ربما أراد منها ثمن فداء لابنه الذي كان رهينة في قشتالة منذ أن أُفرج عنه .

ثالثاً : الحركة الفكرية في مدينة لوشة

حكم المسلمون مدينة لوشة مدة ثمانية قرون ٩٢ – ٨٩١ هـ/ ٧١٠-١٤٨٦ م أقاموا فيها حضارة تألقت فيها إسهامات أهلها في معظم ميادين الحياة السياسية والعسكرية والفكرية، فهي

---

(١) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٢١٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥/٢١٠ .

(٢) أخبار سقوط غرناطة، ص ٢١٧ .

(٣) دولة الإسلام في الأندلس، ٥/٢١٠ .

بلد الوزير لسان الدين الخطيب [١] الذي لعب دوراً في سياسة بني الأحمر مدة من الزمن كما له إسهامات كبيرة في التاريخ والأدب وأسرته عريقة في مدينة لوشة، كما أنجبت لوشة الشيخ المجاهد الكبير أبو علي العطار الذي وصفته الرواية النصرانية بالقول كانت : ((الأقصى – لوشة – تحت حكم السيد العربي الهرم والد زوجة أبي عبد الله النصري أبو علي العطار الذي كان الأسبان يسمونه الآتار عدو النصارى الذي شاب شعره وهو يحاربهم منذ نشأته على هذه الحدود، والتي كان اسمه فقط كافياً لإشاعة الذعر بين الصليبيين فيها ... فهو خبير في استراتيجيات القتال)) [٢]، وقد مرّ الكلام عن دوره العسكري، وسنعرض هنا لإسهامات أهلها الفكرية في مجالات العلوم المختلفة، نذكر منهم :

– أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي يكنى (أبو جعفر)، من أهل لوشة وولي القضاء بها كان له قراءة في الطب وهو والد الطبيبة والشاعرة أم الحسن بنت أحمد الطنجالية، توفي في طاعون سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م [٣] .

– أحمد بن علي بن يوسف الأنصاري يكنى (أبو العباس) سكن لوشة وولي الصلاة والخطبة بجامعها، كان محدثاً زاهداً متصوفاً، أسره الجيش القشتالي عندما دخل لوشة أثناء حركة البياسي، ثم تخلص من الأسر، وتوفي سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م [٤] .

– أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المكنى (أبو جعفر)، من أهل لوشة، ويعرف بالسكان، اشتهر بعلم القراءات، وتولى الخطابة بلوشة، وتوفي بالطاعون سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م [٥]

– أحمد بن محمد بن أحمد بن مكي يكنى (أبو جعفر)، من أهل لوشة، كان عالماً بالقراءات القرآنية والحديث والعربية، وكانت له حلقة لتدريس الحديث بلوشة، أسر أثناء حركة البياسي عندما دخل النصارى لوشة، وتوفي في الأسر سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م [٦] .

– أم الحسن بنت أحمد الطنجالية : الطنجالية هي نسبة الطنجاليين وهم هاشميون ينتسبون إلى أولاد جعفر بن عقيل بن أبي طالب [٧]، فهي عربية هاشمية كانت تسكن لوشة

---

(١) لم نترجم لابن الخطيب هنا لأنه نشأ في غرناطة واكتفينا بذكر آبائه .

(٢) إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ١٠١ .

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢١٥/١ .

(٤) ابن الابار، التكملة، ١٠١/١ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٥٢١/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٢/٤٥ .

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٩٩/١ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٩٣/١ .

(٦) ابن الابار، التكملة، ١٠٢/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٨٢/٤٥ .

(٧) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٩٧ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢٩٧/١ .

وكان والدها قاضياً هناك [١] ووصف بأنه كان خطيبا [٢] .

أفرد لها ابن الخطيب ترجمة بقوله كانت ((نبيلة حسيبة، تجيد قراءة القرآن، وتشارك فنون من الطب، وتنظم أبياتا من الشعر)) [٣]، وقد وصف شعرها بقوله إنها ((ثالثة حمدة [٤] وولادة [٥]، وفاضلة الأدب المجادة، تقلدت المحاسن من قبل ولادة، وأولدت أبكار الأفكار قبل سن الولادة، ونشأت في حجر أبيها، لا يدخر عنها تدريجا ولا سهما، حتى نهض إدراكها، وظهر في المعرفة حراكها، ودرّسها الطب، ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأعراضه، وفي ذكر شعرها، لما قدم أبوها من المُغرب، وحَدّث بخبرها المُغرب، توجه بعض الصدور إلى اختبارها، ومطالعة أخبارها، فاستنبل أغراضها واستحسنها، واستطرف لسنها، وسألها عن الخط، وهو أكسَدُ بضاعة جُلبت، وأشحّ دُرّة حُلبت، فأنشدته من نظمها :

الخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس
والدرس سؤلي لا أبغي له بدلا بقدر علم الفتى يسمو على الناس

ومن شعرها أيضا :

إن قيل من الناس ربّ فضيلة حاز العلا والمجد منه أصيل
فأقول رضوان وحيد زمانه إن الزمان بمثله لبَخيل)) [٦]

مما تقدم يتبين أن أم الحسن الطنجالية كانت برعت في علوم عدة، منها القرآن إذ كانت تجيد قراءة القرآن، كما كانت بارعة في الطب، إذ أخذت ذلك عن والدها الذي درسها الطب

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٣٠/١ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢١٥/١ .
(٢) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٩٨ ؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٩٥ .
(٣) الإحاطة، ٤٣٠/١ .
(٤) هي حمدة بنت زياد المؤدب الوادي آشية شاعرة اندلسية يرجع نسبها إلى عوف بن لؤي من قريش، وهي من شعراء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٢١-١٢٤ .
(٥) هي ولادة بنت الخليفة محمد المستكفي بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله الأموي ولدت في حوالي ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م وتولى أبوها الخلافة في أحداث الفتنة التي عاصرت نهاية الدولة العامرية، وهي أديبة وشاعرة، ولها مع الشاعر ابن زيدون الأندلسي الكثير من المساجلات، وتوفيت سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩١ م، ينظر : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ٣٢٧-٣٣٧ .
(٦) ابن الخطيب، الإحاطة ١/ ٤٣٠ – ٤٣١ ؛ ريحانة الكُتّاب ونجعة المنتاب، ٤١٠/٢ .

حتى أصبح لها باع فيه، وقد وصفها ابن حجر بالطبيبة [١]، فضلاً عن أنها كانت شاعرة أديبة تقول الشعر حتى وصفها ابن الخطيب بحصافة حمدة بنت زياد وولادة بنت المستكفي، وعلى الرغم من أن شعرها لم يصل إلينا إلا النادر القليل، وقد قلل أحد الباحثين من شاعريتها بقوله : ((إن الروح العلمية وشهرتها كطبية وقارئة للقرآن طغت على شخصيتها، فوقف المؤرخون عند هذه الجوانب من شخصيتها، وغفلوا عن شعرها شأنها في ذلك شأن كثير من العلماء الذين ينظمون شيئاً من الشعر لا يُلتفت إليه لأنه صادر عن قلب عالم لا قلب شاعر)) [٢] .

أما عن تاريخ وفاتها فلم تشر إليه المصادر، وقد اختلف في وفاة والدها، فالنباهي ذكر أن أخاها القاضي أبا عبد الله الطنجالي توفي في سنة ٧٥٣ هـ/١٣٥٢ م ففجع به والده الخطيب أبي جعفر [٣]، وهذا يعني أن والدها كان حيا آنذاك، فيما أشار ابن حجر إلى أن القاضي أبا جعفر الطنجالي والد أم الحسن توفي سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م، وهذا يعني أنها كانت حية في منتصف القرن الثامن الهجري .

– سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني الجد الأقرب لابن الخطيب، كان فقيهاً أديباً له معرفة بالحساب وذا خط وتلاوة، كان ساكناً لوشة ثم اختلف مع بني الطنجالي الهاشميين فذهب إلى غرناطة وصاهر أميرها أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف النصري (٦٧١ – ٧٠١ هـ/١٢٧٢–١٣٠١ م) ونال عنده حظوة، وكانت وفاته سنة ٦٨٣ هـ/١٢٨٤م[٤] .

– سعيد بن علي بن أحمد السّلماني، وهو الجد الأعلى لابن الخطيب، وهم يعرفون ببني سلمان استقروا بعد الفتح بقرطبة ثم غادروها بعد هيجة الربض [٥] سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧ م إلى طليطلة، وعند سقوط طليطلة بيد النصارى سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م غادروها إلى لوشة، وكان أول من نزلها منهم سعيد بن علي السلماني فتولى سعيد الخطابة بجامع لوشة فعرف أبناؤه من بعده ببني الخطيب، وكان من أهل العلم والصلاح، وكان له برج يسكن فيه على الطريق بين لوشة وغرناطة، وكان حسن الصوت فعندما يتلو القرآن ليلاً لا يتمالك المارون على الطريق

---

(١) الدرر الكامنة، ١/ ٢١٥ .

(٢) الشريفي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ١٠٠ .

(٣) تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٩٨ .

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ٨/١، ٢٩٥/٣ ؛ المقري، أزهار الرياض، ١٨٧ .

(٥) الربض محلة بقرطبة متصلة بقصر الإمارة وكانت فيه وقعة ضد الأمير الحكم بن هشام سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧ م، ينظر : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠–٢٣٢ هـ/٧٦٦–٨٤٦ م)، ص ١٤٠ .

إلا للإصغاء إلى تلاوته، توفي سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م عندما تغلب النصارى على لوشة أثناء حركة البياسي [١] .

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري يكنى (أبو محمد)، من أهل لوشة ثم سكن غرناطة، وصفه ابن الخطيب بقوله : كان (كثير الصّنائع، جزل المواهب، عظيم المكارم، على سنن عظماء الملوك، وأخلاق السادة الكرام، لم ير بعده مثله في رجال الأندلس، ذاكرا للفقه والحديث، بارعا في الأدب، شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا، حلو الكتابة والشعر، هشّا مع وقار، ليّنا على مضاء، عالي الهمّة، كثير الخدم والأهل) توفي سنة ٥١٨ هـ/١١٢٤ م [٢] .

- عبد القدوس بن عبد الصمد بن محمد بن غياث الصدفي يكنى (أبو الحسن) من أهل لوشة، كان يروي صحيح البخاري في الأندلس [٣]، توفي أخوه عبد الوهاب بن عبد الصمد سنة ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م [٤]، فهو من أبناء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .

- عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي يكنى (أبو محمد)، من أهل لوشة، كان أديباً وشاعراً من بيت نباهة وأدب، كما له رواية في الحديث عارفاً بالنحو والأدب واللغات، خدم في شبيبته بني عباد، توفي سنة ٥١٨ هـ/١١٢٤ م [٥] .

- عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السّلماني والد ابن الخطيب، يكنى (أبو محمد)، من أهل لوشة، وكان مفتياً فيها [٦]، ووصفه ابن الخطيب بقوله : ((كان، رحمه الله، فذّا في حسن الشكل والأبّهة، وطلاقة اللسان، ونصاعة الظّرف، وحضور الجواب، وطيب المجالسة، وثقوب الفهم، مشارا إليه في الحلاوة وعذوبة الفكاهة، واسترسال الانبساط، مغيبا في ميدان الدّعابة، جزلا، مهيبا، صارما، متجنّدا، رائق الخصل ركضا وثقافة، وعدوا وسباحة وشطرنجا، حافظا للمثل واللّغة، أخباريا، مضطلعا بالتاريخ، ناظما نائرا، جميل البزّة، فاره المركب، مليح الشّيبة)) [٧]، وكان له شعر، ومنه قوله :

عليك بالصمت فكم ناطق ... كلامه أدّى إلى كلمه

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٨/١ مقدمة المحقق، ٢٩٤/٣ ؛ المقري، أزهار الرياض، ١٨٧/١ .

(٢) الإحاطة، ٤٠٠/٣-٤٠٢ .

(٣) ابن الابار، التكملة، ١٤٣/٣ .

(٤) ابن الابار، التكملة، ١١٠/٣ .

(٥) ابن الابار، التكملة، ٢٥٢/٢ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٣/٣ .

(٦) المقري، أزهار الرياض، ١٨٦/١ .

(٧) الإحاطة، ٢٩٥/٣ .

إنّ لسان المرء أهدى إلى ... غرّته والله من خصمه

يرى صغير الجرم مستضعفا ... وجرمه أكبر من جرمه [١]

توفي سنة ٧٤١ هـ/١٣٤٠ م [٢] .

– عبد الوهاب بن عبد الصمد بن محمد بن غياث الصدفي يكنى (أبو محمد) من أهل لوشة، اشتهر بعلم الحديث والقراءات، وتولى القضاء، ثم سكن في آخر عمره مالقة، وتوفي سنة ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م [٣] .

– محمد بن أحمد العكي يكنى (أبو عبد الله) ويعرف بابن الأصلع من أهل لوشة، اشتهر بالحديث روى عنه ابنه أحمد بن محمد العكي [٤] المتوفى سنة ٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م [٥]، فهو من أبناء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .

– محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطّنجالي، من أهل لوشة ثم سكن مالقة، قال عنه ابن الخطيب : ((بيتهم نبيه إلى هاشميّة النّبه، وهم ببلدنا لوشة أشراف، وكانت لهم فيها ثروة وثورة اجتثّها الدهر ببعض طوارقه في أبواب المغالبات، ويمتّ سلفنا إليهم بصحبة ومصاهرة)) توفي سنة ٧٢٤ هـ/١٣٢٣ م [٦] .

– محمد بن عبد الرحمن المذحجي يكنى (أبو عبد الله) من أهل لوشة، كان محدثاً وفقيهاً ومشاوراً، انتقل إلى غرناطة وتوفي بها قبل سنة ٥٤٠ هـ/١١٤٥ م [٧] .

– محمد بن عبد المولى المكنى (أبو عبد الله)، وصفه ابن سعيد بالعالم القاضي، وقال عنه : ((يَكْفِي لوشة من الْفَخر أَن كَانَ مِنْهَا هَذَا السَّيِّد الْفَاضِل فَهُوَ فِي كل مكرمَة وفضيلة كَامِل نَشأ على درس عُلُوم الشَّرِيعَة فورد مِنْهَا فِي أعذب شَرِيعَة وترقى إِلَى خطة الْقَضَاء بِبَلَدِهِ فَأَقَامَ، عزه بَين أَهله وَولده)) [٨] .

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٧/٣ .

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٨/٣؛ المقري، أزهار الرياض، ١٨٧/١ ؛ نفح الطيب، ٨/٦.

(٣) ابن الابار، التكملة، ١١٠/٣ .

(٤) ابن الابار، التكملة، ٢،٧٠ .

(٥) ابن الابار، التكملة، ١٠٢/١ .

(٦) الإحاطة، ١٨٦/٣ – ١٨٧ .

(٧) ابن الابار، التكملة، ٣٦٢/١ .

(٨) المغرب في حلى المغرب، ١٥٨/٢ .

– محمد بن عيسى بن عثمان اليحصبي يكنى أبا عمرو ويعرف بابن الجبير، من أهل لوشة، كان محدثاً وأديباً وله شعر، ومنه قوله :

لَو لم يكن لي أباء أسود بهم ... وَلم تثبت رجال الغرب لي شرفا
وَلم أنل عِنْد ملك الْعَصْر منزلَة ... لَكَانَ فِي سِيبَوَيْهِ الْفَخر لي وكفا
فَكيف علم ومجد قد جمعتهما ... وكل مختلق فِي مثل ذَا وَقفا

وكانت وفاته سنة ٥٥٩ هـ/١١٦٣ م [١] .

– محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن محمد اللّوشي اليحصبي يكنى (أبو عبد الله)، ويعرف باللوشي، من أهل لوشة وقرأ العلم بها، وصفه ابن الخطيب بقوله : ((شاعر مفلق، وشهاب في أفق البلاغة متألّق، طبّق مفاصل الكلام بحسام لسانه، وقلّد نحور الكلام ما يزري بجواهر الملوك من إحسانه، ونشأ في حجور الدولة النصرية مدللا بمتاته، متقلبا في العزّ في أفانينه وأشتاته، إذ لسلفه الذّمام الذي صفت منه الحياض والحمام، والوداد الذي قصرت عنه الأنداد، والسابقة التي أزرى بخبرها العيان، وشهدت بها أرجونة وجيّان، محيّز ثمرة الطيب، وله همّة عالية، بعيدة المرمى، كريمة المنتمى، حملته بآخرة على الانقباض والازدراء والزهد في الازدياد والاستكثار، والاقتصاد والاقتصار، فعطف على انتجاع غلّته، والتزام محلّته، ومباشرة فلاحة صان بها وجهه، ووقّاه الدهر حقّه ونجمه، واحتجبت عقائل بيانه لهذا العهد وتقنّعت، وراودتها النّفس فتمنّعت)) [٢]، ومن شعره قوله :

سيخطب قسّ العزم في منبر السّرى ... وهل في الدّنيا يوم المسير أطيق؟
وأقطع زند الهجر والقطع حقّـه ... فما زال طيب العمر عنّي يريق

توفي سنة ٧٥٢ هـ/١٣٥١ م [٣] .

– محمد بن يوسف بن خلصون يكنى (أبو القاسم)، من أهل روطة [٤] سكن لوشة، اشتهر بالتصوف وله نظر في الطب، وصفه ابن الخطيب بقوله : ((كان من جلّة المشيخة وأعلام الحكمة، فاضلا، منقطع القرين في المعرفة بالعلوم العقلية، متبحرا في الإلهيات، إماما في طريقة الصّوفية، من أهل المقامات والأحوال، كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، كثير الحلاوة والطّلاوة، قائما على القرآن، فقيها أصوليا، عظيم التخلّق، جميل العشرة، انتقل من حصن

(١) ابن الابار، التكملة، ٢٦/٢ .
(٢) الإحاطة، ١٧٥/٢ .
(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٧٥/٢ .
(٤) وهو حصن بين المغرب والقبلة من شريش، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٣٣ .

روطة إلى الخطابة والإمامة بلوشة، كثير الدؤوب على النّظر والخلوة، مقصودا من منتحلي ما لديه ضرورة، لم يتزوج، وتمالأت عليه طائفة ممن شانها الغضّ من مثله، فانزعج من لوشة إلى مالقة، فتحرّف بها بصناعة الطّب، إلى حين وفاته)) [١] وله عدة مؤلفات منها كتاب المحبة، وكتاب وصف السلوك إلى ملك الملوك [٢]، وهو معاصر لابن الخطيب، فهو من أبناء القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

(١) الإحاطة، ١٩٤/٣ .

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٩٤/٣ .

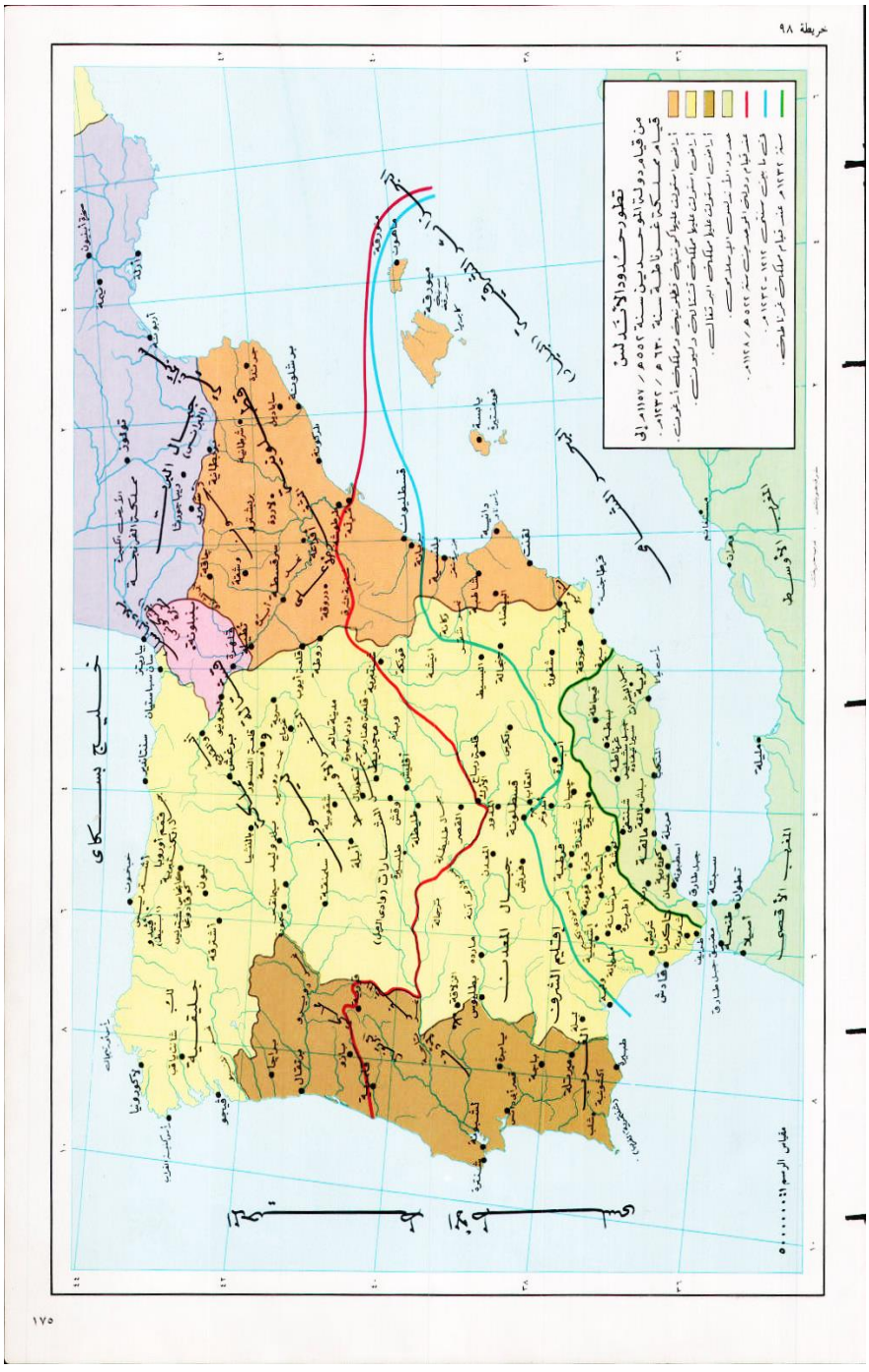

– خارطة الأندلس، عن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٧٥ .

الخاتمـــــة

تقع مدينة لوشة إلى الجنوب من قرطبة والى الشمال الغربي من غرناطة، يشقها نهر شنيل من الجنوب إلى الشمال، ويمتد بسيطها على طول سفح جيل شلير أو جبل الثلج، وُصفت المدينة بحسن طبيعتها ووفرة المياه بها ووفرة إنتاجها من الزيتون والكروم والزروع، فتحها المسلمون سنة ٩٢ هـ/ ٧١٠ م واستوطنتها العديد من القبائل العربية .

أولتها حكومة قرطبة اهتماماً خاصاً لاسيما بعد أن استولى عليها ابن حفصون وعلى عدد من مناطقها، فأعادت بناءها وتحصينها، وقد وقف الأهالي إلى جانب حكومة قرطبة ضده حتى تمكنوا من التخلص من نفوذه، وخلال عهد الطوائف كانت لوشة ضمن أملاك بني مناد الصنهاجيين، وخلال العصرين المرابطي والموحدي قلت أهميتها بسبب تحول الاهتمام إلى إشبيلية ثم تراجع دور قرطبة، وخلال عصر بني الأحمر تحولت المدينة إلى ثغر، وساهم أهلها في الدفاع عنها ضد هجمات مملكة قشتالة حتى سقوطها سنة ٨٩١ هـ/ ١٤٨٦ م، وعلى طول ثمانية قرون أسهم أهلها في الحركة الفكرية في الأندلس في مختلف فنون العلم والمعرفة .

ثبت المصادر

أولاً : المصادر الأولية

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م .
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م): الحُلة السُّيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، مصر ١٩٨٥م .
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط١، دمشق، ٢٠١٥م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت٧٧٩ هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، الرباط، ١٤١٧هـ .
- ابن بلقين، عبد الله (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) : مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان، تحقيق أ . ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م .
- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣ هـ/١٤٢٩م): غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره ج. برجستراسر، ١٣٥١هـ .
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد، الهند، ١٩٧٢م .
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م .
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ/١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (للحقبة ١٨٠–٢٣٢ هـ/٧٩٦–٨٤٦ م) تحقيق: محمود علي مكي، ط١، الرياض، ٢٠٠٣م .
- المقتبس (للحقبة ٢٧٥–٣٠٠هـ/ ٨٨٨–٩١٢م)، تحقيق: إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م .

- المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/ ٩٧٠-٩٧٤م)، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، بيروت، ١٩٦٥م .
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت٧٧٦ هـ/١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ .
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت٧٧٦ هـ/١٣٧٤م): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م .
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت٧٧٦ هـ/١٣٧٤م): ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط١، بيروت، ١٩٨٠م .
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت٧٧٦ هـ/١٣٧٤م): معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ .
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت٧٧٦ هـ/١٣٧٤م): اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه ونشره، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧ هـ .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م): تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م .
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م.
- ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠ هـ/١٦٩٨م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط١، تونس ١٢٨٦ م .
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م .
- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٤١هـ/١١٥٤م):كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد .
- ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤م أو ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م): المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج ٢، ١٩٥٥م .

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م .
- الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ/١٥٧٠م): مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م .
- شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت٧٢٧هـ / ١٣٢٦م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٦٥م .
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة جـ.س كولان وإ–ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م ؛ ج٢، والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م .
- العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.
- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م): قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦م .
- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م .
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي العدوي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ .
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م .
- القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت .
- القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠ م.

- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي): أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م .
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م): تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، والنسخة الأخرى بتحقيق لويس مولينا، بعنوان ذكر بلاد الأندلس، مدريد، ١٩٨٣م .
- مؤلف مجهول (كان حياً سنة ٨٩٧ هـ/ ١٤٩١م): نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق محمد رضوان الدية، دار حسان، دمشق، ١٤٠٤ هـ .
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) : المعجب في تلخيص أخبار المُغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م .
- المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد العظيم شلبي، القاهرة، ١٩٣٩ م .
- المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي الأندلسي (ت ٧٩٢ هـ/١٣٨٩ م): تاريخ قضاة الأندلس المسماة المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣ م .
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م): نهارية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ .
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢م .

ثانياً : المراجع الحديثة

- إيرفنغ، واشنطن : أخبار سقوط غرناطة، ترجمة هادي يحيى نصري، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.
- حتاملة، محمد عبدة : أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان، ١٩٩٦ م .
- الدرويش، جاسم ياسين : أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧م.

- دوزي، رينهرت: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ٢٠٠٠ م .
- الشريفي، علي مطشر : المرأة في الشعر الأندلسي في عهد بني الأحمر، دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٠م .
- طه، عبد الواحد ذنون: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢ م .
- الطويل، مريم قاس : مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر ٤٠٣-٤٨٣ هـ/ ١٠١٢-١٠٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م .
- عنان، محمد عبد الله : الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
- عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، جـ ١، ٢، ٥ ط الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، جـ ٣، ٤، ط ٢، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .
- الكتاني، علي بن محمد المنتصر : انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م .
- الموسوي، مصطفى عباس: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢ م .
- مؤنس، حسين : أطلس التاريخ الإسلامي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤ م .
- هنتس، فالتر : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، عمّان ١٩٧٠م .
- Wikipedia,org، مقالة عن لوشة الأندلسية .